

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد...

كنا في العام الماضي في الدورة العلمية قرأنا كتابي (الإيمان) و(العلم) من صحيح البخاري. ورغب القائمون على هذه الدورة - وفقهم الله - أن نقرأ في الكتاب أيضاً ما يُيسره الله - عز وجل -، فكان نصيب هذه الدورة كتاب (بدء الوحي) ثم الانتقال بعد ذلك إلى كتاب (الوضوء)؛ لأن كتابي (الإيمان) و (العلم) سبقت قراءتهما في الدورة العلمية الماضية. تفضّل.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم، اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالديه ولمشايخه وللحاضرين ولجميع المسلمين. قال المؤلف - رحمه الله تعالى -:

بابُ كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ وقول الله جل ذكره: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾

حدثنا الحميدي عبد الله بن الزبير، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، قال: أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي، أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول: سمعت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على المنبر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

هذا باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

وقد ذكر فيه البخاري - رحمه الله - نحواً من ثمانية أحاديث، وقبل ذلك نتكلم عن مسألة الوحي وأقسامه؛ حتى إذا مرت هذه الأحاديث فإذا الإنسان قد علم ماذا أراد البخاري - رحمه الله - منها، ويتبين له وجه المناسبة.

الوحي يطلق على التفهيم وعلى الإعلام في خفاء، سواء كان هذا التفهيم بإشارة أو بقول أو بكتاب أو غير ذلك، فهذا هو الأصل في لغة العرب.

وجاء الوحي في كتاب الله - عز وجل - على ثلاثة أقسام، قسم بمدلوله اللغوي، ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أشار إليهم.

والثاني: بالمعنى الفطري، كقول الله - عز وجل -: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ يعني أن الله - عز وجل - ألهمها ذلك.

والثالث: ما يراد به المعنى الشرعي الذي هو وحي الله - عز وجل - لأنبيائه ورسوله.

هذا الوحي هو الذي عقد المؤلف - رحمه الله - هذا الباب من أجله.

والوحي من عند الله - عز وجل - لأنبيائه جاء على أنواع، النوع الأول: ما كان بغير واسطة، بمعنى أن الله - عز وجل - كلم الرسول بدون واسطة جبريل، وهذا لم يقع إلا لموسى - عليه السلام - ولنبينا

ﷺ.

أما موسى فقد ذكره الله - عز وجل - كثيراً في القرآن ﴿فَلَمَّا آتَاهَا﴾ يعني الشجرة ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى﴾.

وقال تعالى ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾

وقال - جل وعلا - ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.

وتأكيد الفعل بالمصدر يرفع عنه احتمال المجاز، ودل ذلك على أنه كلمه كلاماً حقيقياً.

وأما النبي ﷺ فقد كلمه ربه - عز وجل - ليلة عُرج به، والصحابة - رضي الله عنهم - اختلفوا في رؤية

النبي ﷺ لربه، هل رآه بعينه أو رآه بفؤاده؟

وأكثر الصحابة - رضي الله عنهم - وجمهورهم على أن النبي ﷺ لم يره بعينه.

وأما الكلام فقد كَلَّمَهُ بدون واسطة وإن لم يره، كما كَلَّمَ اللهُ - عز وجل - موسى بدون واسطة وإن منع رؤية موسى له لما طلبها ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ يعني في الدنيا، أما في الآخرة فإن المؤمنين يرون ربهم، كما قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فسّر النبي ﷺ الحسنَىٰ بالجنة والزيادة بالنظر إلى وجه الله، قال تعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

وهذا أمر مجمع عليه بين سلف الأمة لا يختلفون في هذا، والأدلة على هذا كثيرة جداً، ولكن المقصود من هذا أن موسى لم ير الله ولكنه سمع كلامه بدون واسطة، والنبي ﷺ اختلف الصحابة في رؤيته لربه، ولكنه سمع كلامه بلا واسطة.

وكلام الله - عز وجل - لوالد جابر بن عبد الله، لعبد الله بن حرام، كَلَّمَهُ اللهُ - عز وجل - كِفَاحًا، لكن هذا الكلام إنما كان بعد وفاة عبد الله بن حرام، ومسألة الوحي إنما هي في حال الحياة، وأما عبد الله بن حرام فقد كَلَّمَهُ اللهُ - عز وجل - كِفَاحًا، يعني سمع كلامه ورآه، لكن هذه حال برزخية ليست حالاً دنيوية، فليس داخلاً في الوحي الذي معنا، لأن النبي ﷺ لما كَلَّمَهُ اللهُ - عز وجل - أوحى إليه فرض الصلوات الخمس ليلة عُرج به، فهذا تشريع، وهو في الحياة الدنيا، وهذا هو النوع الأول من أنواع الوحي.

والنوع الثاني: وحيّ بواسطة الملك جبرائيل - عليه السلام -، وهذا ثابت للأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

وقال - جل وعلا - ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ آلِكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾.

وهذا الوحي بواسطة جبرائيل - عليه السلام - وهذا هو الأصل، ولهذا كان موسى يسمى الكليم، قال الله تعالى ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلامِي﴾ فدل هذا على أن الأنبياء يُوحى إليهم

بواسطة الملك إلا من اختصه الله - عز وجل - بالكلام فإنه يكون قد سمع كلام الله، وهما موسى ومحمد - صلى الله عليهما وسلم -.

لكن لا يعني هذا أن الوحي لا يأتي إليهما بواسطة النبي ﷺ ثبت أن الذي يأتيه جبرائيل، لكن سمع كلام الله بدون واسطة جبرائيل ليلة عُرج به، وإلا فالأصل أنه يسمع الوحي من جبرائيل - عليه السلام -، وكذلك موسى، فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - يُوحى إليهم بواسطة الملك، ولهذا قال الله - عز وجل - في شأن القرآن ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾.

والنوع الثالث هو النفث في الرُوع، والرُوع - بضم الراء - هو القلب أو العقل، جاء في حديث حذيفة وفي حديث ابن مسعود أن جبريل نفث في رُوع النبي ﷺ "أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها" الحديث، لكن الأحاديث الواردة في هذا في أسانيدھا مقال، لكن العلماء - رحمهم الله - لما فسروا قول الله - عز وجل - ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ هذه ثلاث مقامات، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا﴾ هذا واحد.

﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ وهذا هو الثاني.

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾.

فالثالث بواسطة والثاني يسمع كلام الله لكن بينه وبين الله الحجاب، وهذا مما يقوي أن النبي ﷺ لم ير الله - جل وعلا - بعينه حين عُرج به إلى السماء، وموسى سمع من وراء حجاب قطعاً.

يبقى قوله تعالى ﴿إِلَّا وَحِيًّا﴾ إلا وحيًا ما هو؟

فسر هذا الوحي بأنه ما يلقيه الملك في رُوع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فيكون ذلك إلهامًا، كما فسره بذلك مجاهد وغيره.

فصار الوحي في الآية على ثلاثة أضرب، ما يلقيه الله -عز وجل- في روع العبد، في قلبه، في عقله، فيوقن أنه من عند الله -عز وجل-، وهذا بقدره الله تعالى ومشيئته.

والثاني: ما كان كلاما بدون واسطة، لكن مع الحجاب.

والثالث: ما كان بواسطة جبرائيل -عليه السلام-.

والأخير هو الأصل.

القذف في الرُوع أو الإلقاء في الرُوع هذا إلهام من الله -عز وجل-، فهو في حق الأنبياء وحي بمعنى الوحي الشرعي، وفي حق غير الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- إنما هو إلهام، بمعنى أنه لا يترتب عليه شيء من التشريع، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾.

وهذا في من يعقل، ولهذا ذكر العلماء أن أم موسى ليست بنبية، بل جمهور أهل العلم بل عامة أهل العلم على أن النساء ليس فيهن نبي، ومريم جاء الملك ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ كما ذكر الله -عز وجل-، ولكن لم يُوحَ إليها وحي تشريع، ولهذا ليست بنبية، إنما هي صديقة.

وغير العقلاء وحي الله -عز وجل- أيضا لهم إلهام، كما قال تعالى ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾.

وقضية البحث ههنا إنما هي متعلقة بالوحي إلى الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، بل الوحي إلى رسول الله ﷺ، ولهذا قال البخاري -رحمه الله-: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

هذا ما يتعلق بالوحي، ما يتعلق بالكتاب هو قال: كتاب بدء الوحي، وظاهر ذلك أنه لا يذكر فيه إلا ما كان متعلقا ببدء الوحي، لكن الحقيقة أنه ذكر أشياء كثيرة غير متعلقة ببدء الوحي، وللعلماء -رحمهم الله- في ذلك توجيهات؛ لأن الباب باب ابتداء الوحي، وأحسن ما قيل في هذا -والعلم عند الله- هو أن

الإمام البخاري - رحمه الله - يعقد الباب ويذكر فيه ما يتعلق بالترجمة وما يتعلق بما أورده في الترجمة، على معنى أنه قد يذكر حديثاً يتعلق بالترجمة ثم يكون هناك حديث آخر لا يتعلق بالترجمة نفسها وإنما يتعلق بالحديث الآخر، فيذكره على معنى أنه يراعي المعنى العام، ليس هو تحديداً دقيقاً في كل ترجمة يذكرها، بعض التراجم ينظر فيها إلى المعنى العام الذي تتصل به الأحاديث ثم يذكر فيه جملة من الأحاديث، وهذا هو فيما يظهر أولى التوجيهات، وإلا هناك توجيهات أخرى لا حاجة لذكرها ههنا.

ذكر بعد ذلك أو صدر الباب بقول الله - عز وجل - ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ لبيان أن الوحي ليس مختصاً برسول الله ﷺ، وإنما أوحى الله - عز وجل - إلى من قبله من الأنبياء، وهذا كما قال الله تعالى ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

يعني أنه - عليه الصلاة والسلام - لم يكن بدعا في رسالته لم يسبقه إليها أحد، بل قد سبقه إخوانه الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -.

ولعله أيضاً أورد هذه الآية لبيان أن الوحي الذي كان يجيء إلى رسول الله ﷺ هو الوحي عينه الذي كان يأتي الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وإن اختلف ما أوحى إليهم، بمعنى أن هناك ما يُوحى إلى الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - من التوحيد والإيمان والشرائع، التوحيد هذا متفق عليه بين الأنبياء، والشرائع مختلفة، فما يُوحى إلى الأنبياء وقع فيه اختلاف، لكن الوحي سواء كان بواسطة جبريل - وهو الأصل - أو كان بغير ذلك من الصفات كما سيأتي إن شاء الله أن هذا قد يقع أيضاً فيه اختلاف، لكن في الأصل والجملة أن الوحي بواسطة.

رؤيا الأنبياء - عليهم السلام - وحي، كما قاله عبيد بن عمير في صحيح البخاري، وأيضاً هذا جاء عن ابن عباس - رضي الله عنه - استدلالاً بقصة إبراهيم - عليه السلام - في ذبح إسماعيل، فإن إبراهيم -

عليه السلام- رأى ذلك في المنام ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

فإبراهيم -عليه السلام- امتثل أمر الله -عز وجل- في ذبح إسماعيل -عليه السلام-، قال تعالى ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ أسلما لله، وهذا الإسلام لله إنما جاء نتيجة للرؤيا التي رآها إبراهيم -عليه السلام-، ولو لم تكن هذه الرؤيا وحيًا من الله لما جاز لإبراهيم أن يذبح ولده؛ لأنه لا يحل لأحد أن يقتل أحداً بغير حق، وهذا معلوم من قصة قابيل وهاييل، فإن قتل الإنسان غيره محرم في جميع الشرائع، إلا إذا كان على وجه حق.

إذن إبراهيم لما امتثل لهذه الرؤيا التي رآها دل ذلك على أنه وحي من عند الله -عز وجل-، ولهذا سيأتي في أحاديث الباب أنه أول ما بُدئ النبي ﷺ بالوحي الرؤيا الصالحة، فهي في حق الأنبياء وحي، وفي حق غيرهم هي جزء من أجزاء النبوة لكن ليست بنبوة.

وعلى هذا نقول: إن ما يُوحى إلى الأنبياء فيه اختلاف، والوحي أو صفة الوحي يقع فيها اختلاف، لكن هذا الاختلاف ليس بكثير، فموسى ومحمد ﷺ اختصا بصفة السماع بدون واسطة، وعندنا النفث في الروع، وهذا يحتاج هل اتفق الأنبياء أو هل أوحى إلى الأنبياء جميعا بهذا أو لا؟ الله أعلم. نُقل أن داود -عليه السلام- إنما كان وحي الله إليه بالنفث في رُوعه، لكن هل كل الأنبياء -عليه الصلاة والسلام- نُفث في روعهم؟ الله أعلم؛ لأن هذا يحتاج إلى دليل، لكن المشترك بينهم والمتفق عليه هو الوحي بواسطة جبريل، والأحاديث التي معنا فيها الرؤيا وفيها جبريل، الرؤيا للأنبياء، جاءت في الأنبياء، لكن هل في جميع الأنبياء؟ الله أعلم.

يبقى بعد ذلك الوسطة في الوحي، الوسطة في الوحي بين الله وبين خلقه هو جبريل -عليه الصلاة والسلام- لجميع الأنبياء؛ لأنه هو الملك الموكل بين الوحي.

ثم ذكر المؤلف حديث عمر بن خطاب -رضي الله عنه- في النية، وهذا الحديث خرّجه البخاري - رحمه الله - كما خرّجه الإمام مسلم، فهو حديث متفق عليه، ورواته كلهم مخرّج لهم في الصحيحين سوى الحُمَيْدي شيخ البخاري، عبد الله بن الزبير، وهو أثبت الناس في سفيان بن عيينة، فإن مسلماً خرّج له في المقدمة ولم يخرج له في الصحيح، خرج له في مقدمة الصحيح دون الصحيح. وسفيان في هذا الإسناد مهمل، الراوي الذي لا يُنسب يسمى عند العلماء المهمل، لكن المراد به هنا سفيان بن عيينة قطعاً، لا سيما وأنه من رواية الحميدي، والحميدي أشهر وأثبت الرواة عن سفيان بن عيينة.

قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، التابعي، معروف.

قال: أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي، أيضاً هو من التابعين الثقات.

أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي، وعلقمة بن وقاص من كبار التابعين، اختلف في صحبته، والمشهور أنه تابعي.

وهذا الحديث جاء فيه رواية تابعي عن تابعي عن تابعي، يحيى بن سعيد الأنصاري وهو من صغار التابعين، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص الليثي.

وحديث عمر هذا حديث مشهور ومعروف، لكننا نبحت الآن في قضية إيراد المؤلف له ههنا، الحديث ليس فيه وحي، "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" الحديث.

ليس فيه أن هذا جاء إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- بوحي، وإن كانت السنة وحيّاً تنزل على النبي -عليه الصلاة والسلام- كما ينزل عليه القرآن، وحي من الله، ولهذا في حديث يعلى بن أمية لما سأل

النبي ﷺ عن الرجل يُحرم في جبة بعدما تَضَمَّحَ بِطِيبٍ، جاء الوحي للنبي ﷺ فلما سُري عنه لم يتل عليه آية، وإنما أمره بنزع الجبة وغسل الطيب، ولم يتل عليه آية، أحياناً إذا سئل جاءه الوحي ونزلت عليه آية، لما سأله اليهود عن الروح جاءه الوحي وأنزل الله -عز وجل- عليه ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ

الرُّوحِ ﴿ۙ﴾.

فدَلَّ ذلك على أن السنة تنزل على النبي -عليه الصلاة والسلام- كما ينزل عليه القرآن، بمعنى أن السنة والقرآن كلاهما وحي من عند الله، ويشهد له قول الله -عز وجل- ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

طيب، هذا الحديث حديث عمر ليس فيه أنه وحي، ولا فيه ذكر صفة الوحي، ولا أي شيء، وليس فيه أي شيء يتعلق بالوحي، ومن هنا بعض العلماء قال: إن المؤلف افتتح به الكتاب وليس هو من أحاديث الوحي، تفاقلاً وحسن ظن بالله -عز وجل- أن يكون عمله في هذا الكتاب خالصاً لوجه الله تعالى.

ومن العلماء من التمس سبب إirاده، وهو أنه قال: إن هذا الحديث جاء فيه ذكر الهجرة إلى الله، ذكر الهجرة إلى الله، والهجرة أنواع كما تعلمون انتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهجر الذنوب، وهجر أهل الذنوب، هذا كله هجرة، قال بعض العلماء: إن الحديث ذكرت فيه الهجرة، والنبي ﷺ كان يخلو أو يهجر قومه الذين يعبدون الأصنام، ويتعبد لله -عز وجل- في غار حراء، وهذا الغار هو أول مكان نزل الوحي فيه على رسول الله ﷺ، فنظر إلى لفظ الهجرة فربطها بتحنث النبي ﷺ في غار حراء، فقال إن هذا الحديث له تعلق بهجرته ﷺ إلى المكان الذي ابتدأ الوحي بالنزول على رسول الله ﷺ فيه.

وقد يُقال: إن المؤلف ذكر في مفتتح الكتاب هذا آية وحديثاً، الآية ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ وهذه الآية فيها شيان، فيها التوحيد والإخلاص، بمعنى أن الوحي الذي نزل على الأنبياء -عليه الصلاة والسلام- مقصده تحقيق العبودية لله والاتباع لرسول الله.

قد يقول قائل: ما الدليل عليه؟

الدليل عليه قول الله -عز وجل- في سورة الشعراء في قصة نوح وهود وصالح وشعيب ولوط، كل نبي يقول ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فاتقوا الله: هو التوحيد، وأطيعون: هو المتابعة.

أما التوحيد في غير هذه الآية فكثير، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

وأما الطاعة للرسول فقول الله - عز وجل - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

فصار المقصد من بعثة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - تحقيق العبودية أو الإخلاص لله، والاتباع للرسول الله، وهو موجود في هذه الآية ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾.

إذن هؤلاء الرسل أوحى الله إليهم - أو مجمل رسالة الرسل - في شيئين: الاتباع والإخلاص.

طيب، الاتباع يكون عن أي طريق؟ إنما يكون عن طريق الوحي، ما يُعرف إلا عن طريق الوحي. والإخلاص عن طريق الوحي.

وعلى هذا نرجع إلى الحديث فنقول: الحديث هنا قال: "إنما الأعمال بالنيات" إذن هذا يتعلق بأحد جزء ما أوحى الله - عز وجل - به إلى الأنبياء وهو الإخلاص لله - عز وجل -.

وقد تستفاد المتابعة من بقية الحديث؛ لأنه قال:

«فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

قد استفاد من هذه الجملة - على بُعد - قد استفاد منها المتابعة لرسول الله ﷺ؛ لأنه لما قال: «فهجرته إلى الله ورسوله» تضمن ذلك أنه إنما هاجر طاعة لله ولرسوله ﷺ، وطاعة الله هي اتباعه - عليه الصلاة والسلام -.

فيمكن أن استفاد من هذا الحديث أيضاً أنه دال على ما تضمنه الوحي إلى جميع الأنبياء والرسل وهو الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ، يدل على هذا: الآية، يمكن أن يقال هذا، والعلم عند الله - عز وجل -.

قال - رحمه الله تعالى -:

حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن الحارث بن هشام - رضي الله عنه - سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟

فقال رسول الله ﷺ: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشدُّ عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول».

قالت عائشة - رضي الله عنها -:

"ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا".

الحديث الثاني: قال البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف، هو التميمي شيخ البخاري، من أشهر الرواة عن الإمام مالك - رحمه الله -، من رواية الموطأ.

قال: أخبرنا مالك، ابن أنس، وهو الإمام المعروف، إمام دار الهجرة.

عن هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين.

أن الحارث بن هشام، وهو أخو أبي جهل، أسلم الحارث بن هشام المخزومي يوم الفتح - رضي الله تعالى عنه -.

هؤلاء الرواة كلهم مخرج لهم في الصحيحين، سوى عبد الله بن يوسف التميمي، فقد خرج له البخاري ولم يخرج له مسلم.

في هذا الحديث قال: مثل صلصلة الجرس، ما هي صلصلة الجرس؟

الصلصلة هي صوت الحديد إذا حرك ووقع بعضه على بعض، فإذا كان هناك حديد وضرب بعضه ببعض فلقوة الصوت وشدته لا يتبين هذا الصوت للإنسان أول ما يسمعه، بمعنى أنه لا يفهمه ولا يستوعبه، لكنه يتداركه بعد مرور الوقت، ولهذا يقوله أهل العلم: هو صوت متدارك، بمعنى أنه لشدته وقوته أول ما يضرب يلحق الإنسان نوع من الفزع، فيصيبه شيء من الدهول، ثم يتدارك سماع هذا الصوت، يعني يصير سماع هذا الصوت عنده مألوفاً، هذا هو صلصلة الجرس.

والجرس معروف، الجرس الذي هو من حديد، ويسمى الجُجُل، معروف، الجرس عبارة عن حديد داخله قطعة من الحديد تضرب فيه، هذا هو الجرس.

قال: «وهو أشده عليّ، فيفصم عني».

يفصم يجوز لك فيها ثلاثة أوجه، وهي ثلاثة روايات في الحديث، فيفصم، فيفصم، فيفصم، وكلها صحيحة، لكن الأرجح منها عند العلماء هو ضبطها بفتح الياء وكسر الفاء، فيفصم، والانفصام معناه الانفصال والانقطاع، على معنى أن هذا يذهب عن النبي ﷺ وينقطع. وقوله: «وقد وعيت عنه» مراده قد فهمت وحفظت عنه.

قالت عائشة - رضي الله عنها -: "وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ - تعني النبي ﷺ - يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَقْصِمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ".

التفصد مأخوذ من الفصد، والفصد معناه قطع العرق لإسالة الدم فيه، فالعرق إذا قطع وأسيل الدم خرج بكثرة، ولهذا فالعلماء يفرقون بين الفصد والحجامة، الحجامة ليس فيها قطع عرق، وإنما الحجامة متعلقة بالجلد، وأما الفصد فهو متعلق بقطع العرق، فإذا قطع العرق كثر سيلان الدم.

فهي تُشبه النبي ﷺ حال نزول الوحي عليه وما يعانیه - عليه الصلاة والسلام - من الشدة والكرب، تُبين الشدة والكرب التي كان يقع فيها - عليه الصلاة والسلام - تبين أنه يخرج منه عرق كثير؛ لشدة الوحي، وسنعود إلى الكلام عليه إن شاء الله.

طيب، هذا الحديث ننظر إليه من جهة الوحي، الحارث بن هشام سأل النبي -عليه الصلاة والسلام- كيف يأتيك الوحي؟
هو ما قال: (ملك الوحي)، قال: كيف يأتيك (الوحي).
فذكر له النبي ﷺ صفتين.

الصفة الأولى قال: «يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه». هذا الكلام فيه ثلاثة أشياء، الشيء الأول: صورة هذا الوحي أو صفته، مثل صلصلة الجرس، يعني مثل صوت الحديد الذي يقع بعضه على بعض، وهو صوت شديد جداً، لكن كان يسمعه الصحابة لا يسمعون، مثلما سمع النبي ﷺ صياح من في القبور وسمع الموتى -عليه الصلاة والسلام- بإسماع الله -عز وجل- له.

إذن الوحي إذا جاء به جبريل على النبي ﷺ ينزل عليه وهو بين ظهراني أصحابه، الصحابة ما يسمعون شيئاً لكن يرون أثره على النبي ﷺ؛ لأنه إذا نزل عليه احمرّ وجهه وصار له غطيط، وهو أن نفسه -عليه الصلاة والسلام- يرتفع إلى أعلى فمه فيخرج منه صوت، ويصبيه عرق شديد، ولهذا إذا جاءه الوحي غطّاه أصحابه -عليه الصلاة والسلام- لشدة ما يجده من هول الوحي، لكنهم لا يسمعون هذا الصوت، ولعل الله -جل وعلا- لم يُسمعهم ذلك لألا يصيبهم الرعب، أو لأنهم لا يستطيعون تحمله، وإنما يتحملة الأنبياء على شدة. إذن هو صوت شديد.

قد يقول قائل: جاء في الحديث أن النبي ﷺ كان إذا أنزل عليه الوحي يُسمع عند وجهه دوي كدوي النحل، ودوي النحل ليس كضرب الحديد، دوي النحل شيء بسيط، هو صوت لكنه يسير، وَجَّهَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ هَذَا الْحَدِيثَ -وهو مُخرج عند الإمام أحمد والترمذي والنسائي- تأويلات، منهم من قال: هو باعتبار السامع، فهو باعتبار سمع النبي ﷺ كصوت الحديد، وباعتبار سمع الصحابة كدوي

النحل، لكن الحقيقة أن هذا الكلام وهذه التوجيهات إنما نحتاج إليها لو ثبت الحديث عن النبي ﷺ، لكن هذا الحديث حديث ضعيف لا يصح، في إسناده يوسف بن سليم وهو راوٍ مجهول. إذن هذه الفقرة الأولى، هذه صفتة.

قال: "وهو أشده عليّ".

دلّ ذلك على أن الوحي كان شديداً على النبي ﷺ، إلا أنه في الشدة على مراتب، وهذا النوع الذي يأتيه مثل صلصلة الجرس هو أشده عليه - عليه الصلاة والسلام -.

ولهذا قد يُقال: إن النبي ﷺ في بعض الأحاديث لما جاءه جبريل على صورة رجل أو نحو ذلك وسمع النبي ﷺ كلامه لم يكن كلامه إذا تمثل بحضرة الصحابة لم يكن صوته كمثل صلصلة الجرس. إذن هو أنواع، قال: «وهو أشده عليّ».

الثالث: قال: «وقد وعيت عنه ذلك».

وهذا يدل على أنه وإن كان ثقيلاً على النبي ﷺ إلا أن الله - عز وجل - يعطيه من القدرة ما يتمكن به من فهم ما يوحى إليه الملك، ويحفظه - عليه الصلاة والسلام -.

وهذا هو النوع الأول، مثل صلصلة الجرس.

النوع الثاني: قال: "وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول".

بمعنى أن الملك كان يتمثل أو يأتي النبي ﷺ في صورة رجل، قال العلماء: وأكثر ما كان يأتي في صورة دحية بن خليفة الكلبي، لماذا؟ لأن دحية كان أجمل العرب، كان رجلاً جميلاً - رضي الله تعالى عنه -، وهو ممن كان إسلامه قديماً، قد بعث به النبي ﷺ إلى هرقل، والله - جل وعلا - يقول لما ذكر في سورة يوسف ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ فلجمال يوسف قالت النساء هذه المقالة، فدلّ ذلك على أن الملائكة أصحاب جمال.

وتمثل جبريل -عليه السلام- في صورة أعرابي، وفي صورة رجل أشعث، كل هذه ثابتة في السنة، وهذا يدل على أنه إذا تمثل له في صورة الرجل قد يراه أصحاب النبي ﷺ، وقد رأوه وثبتت السنة في ذلك، كما في حديث عمر الطويل في الإسلام والإيمان، وكذا في قصة أم سلمة -رضي الله عنها- رأت جبريل -عليه السلام- وهو مع النبي ﷺ في بيتها وجبريل يكلمه، وكان على صفة دحية الكلبي، ولم تعرفه حتى ذهب -عليه السلام-.

كان يتمثل لهم، وهذه إحدى صفات الوحي التي كان يوحى إلى النبي ﷺ فيها، وسيأتي إن شاء الله أيضاً مزيد بيان لهذا.

إذن قوله: "فيكلمني فأعي ما يقول"

إذن في كلا الأمرين أثبت النبي ﷺ أنه يعي، يعني يفهم ويحفظ ما يقوله الملك، سواء تمثل بشراً أو لم يتمثل بشراً، لكنه لا يأتي للنبي ﷺ في صورته التي خلقه الله -عز وجل- عليها. الملائكة خلقت من نور، وهذا ثابت في صحيح مسلم، "خلق الله الملائكة من نور، وخلق الجن من مارج من نار، وخلق آدم مما ذُكر لكم" يعني من الطين.

فالملائكة من نور، وقد رآه النبي ﷺ مرتين، وهما المذكورتان في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ أي رآه وهو نازل من السماء قد سد الأفق جهة المشرق وله ستمائة جناح.

ورآه ليلة عُرَجَ به -عليه الصلاة والسلام- وهو المذكور في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَنَبِّهِ * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾.

فهاتان الحالان، إنما رآه النبي ﷺ في هاتين المرتين فقط على هيئته التي خلقه الله -عز وجل- عليها، لكن يراه في صورة رجل يأتي إلى النبي ﷺ ويُوحى إليه، ويراه النبي ﷺ ولا يراه أصحابه، وهذا ثابت عن عائشة -رضي الله عنها- في الصحيح، قالت: وإنك لتراه يا رسول الله ولا نراه، فدل على أنه قد

يأتي إلى النبي ﷺ ويتلبس بالنبي ﷺ ويوحى إليه، يراه النبي ﷺ لكن الصحابة ومن معه لا يرونه، وهذا من كمال نعمة الله - عز وجل - وكمال قدرته.

ينبغي التنبيه إلى مسألة جرّ إليها هذا، وأنه لما قال النبي - عليه الصلاة والسلام - "يتمثل بي" الملك يتمثل بالنبي ﷺ هذه النقطة استدللّ بها بعض المحدثين على أن التمثيل جائز، ومنه تمثيل النبي ﷺ، قال: ما دام أن جبريل يتمثل بالنبي ﷺ أو يتمثل بدحية أو يتمثل برجال، إذن يجوز أن نمثل النبي ﷺ. وهذا كلام باطل، لماذا؟

لأن هناك فرقا، الملائكة مفعول بها والمكلف فاعل، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾. ومثل هذا مثل من أفطر في نهار رمضان ناسياً، فإنه لا قضاء عليه؛ لأنه لم يفعل - كما قال العلماء - وإنما فعل به، وكذلك الملك لم يفعل وإنما فعل الله - عز وجل - به ذلك بأمره الكوني.

والثانية: أن ما يتعلق بالملائكة والمعجزات لا قياس فيه عند العلماء، لا يمكن القياس، وإلا لقال لنا قائل: يجوز لنا أن ندعي إحياء الموتى ونتمثل عيسى - عليه السلام - لأن الله أقدره على ذلك، ولجواز لنا أن نأتي إلى ما خص به النبي ﷺ من المعجزات ونقول: نفعل كما فعل النبي ﷺ، وهذا غير صحيح، وباطل.

ولهذا لا يصح أن يُمثل الأنبياء أبداً، أن يُستفاد منه جواز تمثيل الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -.

والثالثة: لو نظرنا إلى الحديث، أيهما أفضل؟ الملائكة أم الرسل؟

الرسل أفضل، اختلف العلماء في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، وأما الرسل فهم أفضل من الملائكة، وأفضل الرسل محمد ﷺ بإجماع العلماء.

طيب لو فرضنا أنه يجوز التمثيل، ما يجوز التمثيل، يعني عندنا الملك هنا مثل من هو دونه ولم يمثل من هو أعلى منه، صحيح أم لا؟

مثّل من هو دونه، لكن إذا مثّلت النبي ﷺ تمثل من هو أعلى منك، وهذا مقام استنقاص، واستنقاص الأنبياء كفر بإجماع العلماء.

فضلاً عن أن الذي يمثل النبي ﷺ يدعي النبوة، وادّعاء النبوة كفر بإجماع العلماء لا يُعذر فيه إلا بالإكراه، لا يعذر فيه لا بمزح ولا جد ولا هزل ولا أي شيء كان، إنما يعذر بالإكراه، أما غيره فلا عذر له، ولهذا العلماء يقيّدون مسائل الكفر والردّة في المسائل المكفّرة يقولون: إنما استثنى الله - عز وجل - الإكراه، واتفقوا على جواز النطق بالكفر، واختلفوا في فعل الكفر هل هو مأذون فيه أم لا؟ على آية ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾.

قال بعض العلماء: هذا متعلق بالقول فقط، بدلالة حديث الذباب المشهور، الذي قيل له قَرَّبْ ذُبَابًا. وبعض العلماء - وهو الراجح - يُسوّي، يقول: يجوز له فعل الكفر وقول الكفر إذا أُكْرِهَ إكْرَاهًا مُلْجِئًا، لا حيلة له فيه، فهذا يجوز له النطق بالكفر وفعل الكفر، وما عداه فهو كفر، لو فعله مثلاً من أجل مال، يقول: أن أعتقد أن السجود للصنم مثلاً أو أن ادعاء النبوة أن هذا لا يجوز، وأنا مُقر في نفسي أني لست بنبي، لكن أنا أريد مالا وأحتاج إلى مال! نقول: هذا كفر، الله قال ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ لو قال: أمزح، نقول: هذا كُفْر، مسائل الكفر ليس فيه مزح مطلقاً، ولهذا العلماء ينصون على أنه إنما يعذر بالإكراه، ثم تأتي مسألة العذر بالجهل، وليس على إطلاقه، يُعذر بالجهل في بعضها ولا يُعذر في بعضها، وأما غيرها فإن الأصل فيه أنه يكفر.

إذن هاتان صورتان، نعود إلى الحديث، هذا الوحي ذكر فيه صفتان، طيب، نقول: عندنا صفات أخرى للوحي ستأتي إن شاء الله، لماذا لم يذكر النبي ﷺ إلا هذا؟

يُقال - والعلم عند الله عز وجل - : إن العلماء تباينت آراؤهم، منهم من يرى أن النبي ﷺ ذكر ذلك على جهة الأغلبية، يعني أن أغلب ما يأتي النبي ﷺ الوحي على هاتين الصفتين، ومنهم من حاول إعادة بقية الصفات إلى هاتين الصفتين، وسيأتي - إن شاء الله - النظر إليها في مواضعها.

طيب، يبقى لنا سؤال، أو بقيت لنا فقرة في الحديث ثم نأتي إلى السؤال، في آخر الحديث قالت عائشة:
"وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ".
وسياتي إن شاء الله أن النبي ﷺ كان يعالج من الوحي شدة.

طبعا النبي ﷺ ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- "أنه كان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرِّحْضَاءُ" أخذته الرِّحْضَاءُ بضم الراء وفتح الحاء مع الضاد، الرِّحْضَاءُ هو العرق الكثير.

وجاء في حديث عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- في صحيح مسلم "أن النبي ﷺ كان إذا أنزل عليه كُرِبَ لذلك وتربّد وجهه"، أي تغير لون وجهه، صار مائلاً إلى الرماد، بين الرماد والسواد.

في حديث يعلى بن أمية الذي في مسلم، وكان يريد أن يرى النبي ﷺ إذا أوحى إليه، فلما سُئِلَ ﷺ عن مسألة في الحج التي مرّت نزل عليه الوحي فاحمرّ وجهه وكان له غطيظ، فجاء عمر -رضي الله عنه- وأدخل رأس يعلى بن أمية تحت الستار ليرى النبي ﷺ فأخبر الخبر، أن وجه النبي ﷺ كان قد احمر -عليه الصلاة والسلام- أنه يجد كربة ومشقة، إذن فكان يتغير لونه -عليه الصلاة والسلام-، قد يكون أحمر ثم مع شدة الحمرة، الحمرة إذا اشتدت جدا صار لونها كأنه مائل إلى السواد.

وفي حديث الإفك، والحديث ثابت في الصحيحين أنه ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي أخذه البرحاء، وكان يتحدّر منه -عليه الصلاة والسلام- مثل جُمان اللؤلؤ من العرق، عرق شديد ينزل منه -عليه الصلاة والسلام- هذا ثابت في الصحيحين، تخبر عائشة في حديث الإفك أنه كان يتنزل عليه هذا أيضا في اليوم الشاتي؛ من ثقل القول الذي كان ينزل على النبي ﷺ.

وهذا يشير لقول الله -عز وجل- ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

والقول الثقيل يتضمن شيئين، يتضمن صفة نزوله، والعمل به، كل هذا داخل في قوله تعالى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

ثقل العمل به دل عليه قوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ يعني من ثقلها وعظمتها ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

وأما ثقل الوحي حين نزوله فقد ثبت في الأحاديث أن النبي ﷺ كان يتغير لونه وكان يعالج منه شدة، وكان يلحقه -عليه الصلاة والسلام- إذا نزل عليه يلحقه الكرب ويكون له غطيظ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

إذن هذه الأحاديث كلها تدل على قول عائشة -رضي الله عنها- "وإنه جبينه ليتفصد من العرق". وأنه -عليه الصلاة والسلام- كان يعاني من التنزيل شدة.

طيب، السؤال، أو بدل السؤال صاراً سؤالين، السؤال الأول:
سبب إيراد المؤلف لهذا الحديث.

هو طبعاً سبب إيراده لأن فيه صفتين من صفات الوحي، لكن إذا نظرنا إلى العنوان الدقيق للباب، قال: بدء الوحي، ما علاقة بدء الوحي؟

يقال: العلاقة هي أن صفة الوحي الذي كان ينزل على النبي ﷺ كانت واحدة ابتداء وانتهاء، كانت صفات الوحي المنقولة... هذه الصفة لم تبيين عائشة -رضي الله عنها- أن هذا كان في أول الوحي أو في آخره، هي ذكرت الصفتين، والنبي ﷺ يوحى إليه، إذن فهاتان الصفتان قد شملتا ابتداء الوحي وانتهاء الوحي، وما دل على الطرفين لا يمنع من الاستدلال به على أحدهما، إذا دل على الابتداء والانتهاء أو على عموم الوقت لا يعني ذلك أنه لا يدل على ابتداء الوحي.

وما قدمناه مما سبق مما ذكره بعض أهل العلم من أن البخاري -رحمه الله- يترجم للباب ويذكر ما يناسب الترجمة، وقد يذكر من الأحاديث ما هو متعلق بما أورده من أحاديث للترجمة، وهذا قد يكون أيضاً من ذلك، قد يكون البخاري -رحمه الله- أورد آية ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ثم أورد هذا الحديث لبيان صفة الوحي.

وهو وإن كان متعلقا بالآية إلا أن الآية ليس فيها تحديد أن ذلك كان ابتداء الوحي به - عليه الصلاة والسلام -.

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بَعَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي عَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾.

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجِفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- فَقَالَ: زُمَّلُونِي زُمَّلُونِي، فَزُمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِحَدِيجَةَ -وَأَخْبَرَهَا الْخَبْرَ-: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْرِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟

فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبْرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْمُخِرَجِي هُمْ؟

قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا.
ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةً أَنْ تُوفِّيَ وَفْتَرَ الْوَحْيَ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-
قَالَ -وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ- فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ
بَصْرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءِ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَرَعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ
فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾.
فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ.

تَابَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ وَأَبُو صَالِحٍ، وَتَابَعَهُ هِلَالُ بْنُ رَدَادٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَقَالَ يُونُسُ وَمَعْمَرٌ: بَوَادِرُهُ.

طيب، قبل الكلام في هذا الحديث، في الحديث السابق ذكرت أن هناك سؤالين، السؤال الأول تقدم،
والسؤال الثاني نسيتته وأنت ذكرته الآن، السؤال الثاني: الحديث هنا ذكرت عائشة -رضي الله عنها- ما
كان يعانيه -عليه الصلاة والسلام- من الشدة، ذكر بعض العلماء أن هذه الشدة كان الباعث عليها
خشية النبي ﷺ ألا يحفظ عن الله -عز وجل- ما أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَقَعُ فِي الْإِثْمِ، لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُ ﴿وَلَوْ
تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾.

وبعض العلماء يرى أن هذه الشدة جاءت لحكمة من الله -عز وجل-، وهي أن الله -عز وجل- أراد
أن يربِّي نبيه ﷺ على الصبر والبلاء؛ لأنه إذا دعا الناس إلى ما أمره الله -عز وجل- به فسيكون له
أعداء كما كان لمن قبله أعداء، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

فأراد أن الله -عز وجل- أن يجعل هذه الشدة سببا في تربيته على الصبر فيما يتحملة من أعباء الرسالة،
وقد قال الله -عز وجل- لنبية ﷺ ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾.

وذكر بعض أهل العلم أن من الحكمة في هذا هي أن النبي ﷺ إذا أنزل الله -عز وجل- عليه هذا الكرب والشدة كان تحفُّره لاستقبال ما يُوحى إليه وحفظه أقوى؛ لأنه إذا كان في كرب شديد وكان يُكَلِّم -عليه الصلاة والسلام- ويُخاطبه الملك فإن ذلك أدعى إلى أن يكون متوجِّهاً إلى ما يقوله الملك من وحي الله -عز وجل-، فيكون ذلك أعون في حفظ ما أراد الله -عز وجل- أن يبلغه إليه بواسطة هذا الملك، والعلم عند الله -عز وجل-.

أما الحديث الآخر فقد قال البخاري -رحمه الله-: حدثنا يحيى بن بكير، وهو يحيى بن عبد الله بن بكير، وهذا من شيوخ البخاري، والبخاري يروي عنه بواسطة وبدون واسطة، يعني أحيانا يكون بينه وبين شيخه يحيى بن بكير واسطة وأحيانا بدون واسطة، وهذا يدل على شيئين في البخاري، الأول: ضبط البخاري لما يرويه عن شيوخه؛ لأن الراوي مع طول الوقت إذا حدثه أحد عن شيخه بحديث قد يلبس عليه بعض ذلك فيظن أن شيخه هو الذي حدثه به مباشرة.

هذا واحد، الثاني: يدل على براءة البخاري من وصمة التدليس؛ لأنه لو أراد أن يدلس لما ذكر الواسطة بينه وبين شيخه؛ لأنه يعلو في الإسناد، لكن البخاري لا يدلس، ما سمعه بواسطة حدث به بواسطة، وما سمعه من شيخه مباشرة حدث عنه مباشرة، فهذا كما قلنا دل على شيئين، على الضبط وعلى براءة البخاري -رحمه الله- من التدليس.

ويحيى بن بكير روى له البخاري وروى له أيضاً مسلم في الصحيح.

قال: حدثنا الليث، وهو ابن سعد الفهمي، إمام مصر ومحدثها وشيخها.

عن عَقِيل، وهو عَقِيل بن خالد، بضم العين، هو عَقِيل بن خالد بن عَقِيل، جده بفتح العين وهو بضم العين، عَقِيل بالضم والجد بالفتح، وهو أيضاً من الثقات، ومن ثقات الرواة عن الزهري.

قال: عن ابن شهاب، هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، الإمام المعروف.

عن عروة بن الزبير، وقد تقدم عروة، عروة بن الزبير بن العوام، عن عائشة أم المؤمنين.

هذا الحديث مخرج في الصحيحين، ورواته أيضا كلهم مخرج لهم في الصحيحين، وفي إسناده رواية التابعي عن التابعي، فإن ابن شهاب تابعي وعروة بن الزبير تابعي، تعرفون أن التابعين على ثلاث طبقات، صغرى ووسطى وكبرى، ورواية التابعي عن التابعي أيضا في الحديث السابق؛ لأن رواية هشام بن عروة عن أبيه من رواية التابعي عن التابعي.

التابعي قد يروي عن التابعي، والراوي قد يروي عن الراوي الذي في طبقتة، يعني رواية الأقران، وستأتي إن شاء الله.

وقد يروي تابعي عن تابعي، وقد يروي تابعي عن تابعي عن تابعي، وقد يروي تابعي عن تابعي عن تابعي عن تابعي، في البخاري رواية أربعة من التابعين عن بعض، ورواية ثلاثة، وأكثر ما ذكر رواية ستة من التابعين بعضهم يروي عن بعض، يعني كل واحد منهم شيخ الآخر، هذا بالتالي يؤدي إلى نزول الإسناد في العدد، لكنه لديه ميزة إذا كان الرواة ثقات كبارا له ميزة؛ لأن تداول الكبار الحفاظ للأحاديث يرفع عنها الغرابة ويثبت لها الشهرة، كلما كان الحديث أكثر تداولاً بين الحفاظ كان أشهر وأبعد عن الغرابة.

إذن هنا رواية تابعي عن تابعي، لماذا ينص العلماء على رواية تابعي عن تابعي؟ فيه فائدة مهمة، وهي أنه أحيانا قد يُظن أن في الإسناد خطأ أو تحريفا؛ لأن بعض الناس يقول: كيف يروي تابعي عن تابعي؟ ولا سيما إذا كانا في نفس الطبقة، كيف يروي تابعي عن تابعي؟ فيظن أن في الإسناد خطأ أو تحريفا، نقول لا، رواية التابعي عن التابعي موجودة، والصحابي عن الصحابي موجودة، والصحابي عن التابعي عن الصحابي موجودة، فإذا وقع مثل هذا فليس بغريب، بل رواية التابعي عن التابعي كثيرة، ورواية الصحابي عن الصحابي كثيرة.

طيب، عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- قالت... أم المؤمنين لقوله تعالى ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أمهات المؤمنين في الحرمة.

أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في المنام، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

فلق الصبح هو ضوء الصبح ونورُه، قال الله - عز وجل - ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾.

بمعنى أنه - عليه الصلاة والسلام - إذا رأى رؤيا في المنام يراها وتظهر له وتبين كما يرى الإنسان الصبح، الصبح إذا ظهر ليس بخافٍ، ولهذا شبّهت الرؤيا بالصبح؛ لأن انفلاق الصبح وظهوره واضح لا خفاء فيه، وكذلك هذه الرؤيا إذا رآها النبي ﷺ تجيء وتقع ويراه - عليه الصلاة والسلام - واقعة كما يرى الصبح.

وهذه الرؤيا الصالحة، كما قلنا: الرؤيا نوع أو صفة من صفات الوحي للأنبياء - عليه الصلاة والسلام -، قد تقدم الكلام على هذا في أول اللقاء.

قَالَتْ: ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءِ.

هنا الآن ذكرت الرؤيا أولاً، ثم جاء بعد ذلك بعد هذه الرؤى التي كان يراها - عليه الصلاة والسلام - فتقع كما رآها، حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فِي غَارِ حِرَاءِ.

طيب، الفقرة الأولى متعلقة بابتداء الوحي ولا إشكال في ذلك؛ لأن هذا كان في مبتدأ الوحي، يعني أول الوحي كان هكذا، كان بالرؤيا أول الوحي، بعض العلماء يرى أن (من) هنا ليست تبعيضية، بمعنى أن الرؤيا ليست من الوحي، وإنما يراها بيانية، وعلى هذا كأنه يقول: إن الرؤى كانت مقدمة للوحي وليست من الوحي، لكن المشهور أن (من) هنا تبعيضية، وأن المراد أن الرؤى من الوحي؛ لما في قصة إبراهيم - عليه السلام - وفي قول ابن عباس وعبيد بن عمير.

قَالَتْ: ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءِ.

طبعا حراء هو الغار المعروف، موجود في شمال شرق مكة، كان النبي ﷺ يتعبد فيه ويتحنث، لكن بعدما أوحى إليه انقطع عنه.

وعلى هذا فالذين يأتون يتعبدون عنده جهلة، لا يعرفون السنة، النبي ﷺ كان يتحنث قبل أن يوحى إليه، لما أوحى إليه لم يُنقل أنه تحنث، وقد مكث في مكة ثلاثة عشر عاماً.

إذن فالذين يأتون الآن غار حراء يتحنثون ويتعبدون فيه هؤلاء أصابوا ضلالة؛ لأنهم لم يعرفوا هدي محمد ﷺ.

وحراء إذا أردت أن تقرأه لك وجهان في قراءته، إما بالصرف أو بعدم الصرف، إذا صرفته فمعنى ذلك أنك ذكّرت الغار، يعني جعلته مذكراً، تقول حراءٍ، وإذا أنثته على إرادة البقعة فإنك تمنعه من الصرف، وعلى هذا يجوز أن تقرأه: حراءٍ وحراءً.

قالت: فيتحنث فيه، وهو التعبُّد الليالي ذوات العدد.

قولها: فيتحنث فيه، أصل التحنث هو طرح الإثم بفعل البرِّ، لأن الحنث هو الإثم، فإذا تحنث معناه أنه طرح هذا الإثم بما يفعله من أفعال البرِّ؛ ولهذا قال العلماء: فيتحنث هي معنى فيتحنف بالفاء، والتحنُّف مأخوذ من الحنْف وهو الميل عن الشيء إلى غيره قصداً، ولهذا قال الله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ يعني أنه كان مائلاً عن الشرك إلى التوحيد قصداً، وهذا هو معنى التحنُّث هنا. وقوله في الحديث: وهو التعبد الليالي ذوات العدد، هذه الجملة: وهو التعبد... هي جملة تفسيرية، وليس هذا التفسير من عائشة؛ لأنه جرت العادة أن الراوي لا يشرح بهذه الكيفية ما ذكره، ولكنه من أحد رواة الحديث، جزم بعضهم بأنه الزهري، لكن ذكر ابن حجر أنه لا دليل على أنه الزهري، فابن حجر -رحمة الله عليه- لم يعترض على الإدراج، وإنما اعترض على إحالة الإدراج إلى الزهري -رحمة الله-.

ونكمل -إن شاء الله- بعد صلاة المغرب، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله، وعلى آله ومن

اهتدى بهداه.

نستكمل حديث عائشة -رضي الله عنها-.

كنا قد وقفنا عند قوله في الحديث: وهو التعب الليلي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزودُ

لذلك.

قولها: "قبل أن ينزع إلى أهله" أي قبل أن يرجع -صلى الله عليه وسلم- إلى أهله.

وقولها في الحديث "ويتزودُ" على الرفع، يعني مضارع مرفوع، وليس معطوفاً على قوله أن ينزع،

وإنما هو معطوف على قوله يتحنّث.

قالت: "ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها"

أي يرجع النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى خديجة فتزوده خديجة لمثل هذه الليالي؛ لأنه -عليه

الصلاة والسلام- بعد أن يعود من حراء يتزود بما يجعله معه في غار حراء إذا رجع إليه.

قالت: "حتى جاءه الحق"

والحق صفة لموصوف محذوف، أي: جاءه الأمر الحق من الله -جل وعلا- وهو في غار حراء،

فدل هذا على أن الوحي نزل عليه في غار حراء، ومن هنا يترشح، أو هذا يرشح ما ذهب إليه طائفة من

العلماء من أن الرؤيا الصالحة ليست من الوحي، وإنما هي مقدمة الوحي، وهذا كما بيّنا قبل قليل أن

العلماء منهم من يرى أنه مقدمة للوحي ومنهم من يرى أنه من الوحي، هذا قولها "حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ" هذا دليل على أن الوحي جاء بعد الرؤيا الصادقة؛ لأن الرؤيا الصالحة أو ما رآه النبي -صلى الله عليه وسلم- لم تثبت به نبوته ولم يحصل به تشريع، وأما بعد نزول ﴿اقْرَأْ﴾ فثبتت نبوته -عليه الصلاة والسلام-، وبعد قوله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ثبتت رسالته -عليه الصلاة والسلام-.

قالت: "فجاءه الملك"

والملك هو جبرائيل، ولم يثبت في شيء من الأحاديث أن هناك ملكا غير جبرائيل هو الواسطة في الوحي.

"قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ"

قوله "ما أنا بقارئ" ما هنا نافية، والمقصود بهذا: يعني لا أعرف القراءة ولا أحسن القراءة، فأمر جبريل النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن يقرأ وهو لا يعرف القراءة؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان أمياً، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾.

قال: "فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد" أو "الجهد" يجوز في ضبطها أن تُضبط بفتح الجيم وبضمّها، والمقصود بذلك أن الملك حصر النبي -صلى الله عليه وسلم- وضغط عليه حتى بلغ منه الجهد، والجهد تجوز فيها الفاعلية والمفعولية، يعني يجوز لك أن تقول حتى بلغ مني الجهد، حتى بلغ الغط مني الجهد، ويجوز بالرفع على الفاعلية، حتى بلغ الجهد مبلغه.

قال: "ثم أرسلني" أي أطلق النبي -صلى الله عليه وسلم- وترك ضغطه وغطه، ثم قال له اقرأ، كرر عليه ذلك ثلاث مرات، في كل مرة يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- "ما أنا بقارئ" ثم قال له ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وبهذا ثبتت نبوة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولهذا قال العلماء: نبيُّ باقراً وأُرسل بالمدثر.

قالت: "فرجع بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يرجف فؤاده"

أي أن فؤاد النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو قلبه لما نزل عليه جبريل وجاءه بهذه الآيات أصاب النبي -صلى الله عليه وسلم- خوف وذعر، فرجع بها إلى أهله وفؤاده -عليه الصلاة والسلام- يرجف، رجع بهذه الآيات أو رجع بالحادثة كلها، قصته معه نزول الوحي عليه مع الآيات، رجع بها إلى أهله، فدخل على خديجة -رضي الله عنها- قال: "زملوني زملوني" والتزميل هو التغطية، فزملوه حتى ذهب عنه الرُّوع، الرُّوع هنا بفتح الراء، ومحلّه الرُّوع، الرُّوع هو الخوف والفرع، هذا الخوف والفرع محلّه القلب، هذا القلب يطلق عليه أنه الرُّوع، والفرع يقال: الرُّوع.

فقال لخديجة وأخبرها الخبر: "لقد خشيت على نفسي"

النبي -صلى الله عليه وسلم- خشي على نفسه الموت أو المرض لشدة ضغط الملك عليه،

وأيضا

لأن الملك فجأه بهذا الأمر.

فقلت خديجة -رضي الله عنها- "كلا والله ما يخزيك الله أبدا" أي أن الله -عز وجل- لا يفضحه ولا يذله، في بعض روايات الحديث أنها قالت: "كلا والله ما يحزنك الله" أي أن الله -عز وجل- لا يصيبك بالحزن.

ثم عللت هذا، عللت قولها "كلا والله ما يخزيك الله أبدا" ذكرت تعليلا لهذا، وهو ما كان يفعله -صلى الله عليه وسلم- من أفعال البر المتعلقة بالخلق، فقالت: "إنك لتصل رحم، وتحمل الكَلَّ" والكَلُّ هو الضعيف المنقطع الذي لا يقدر على العمل ولا التكسُّب.

قالت: "وتكسب المعدوم" المشهور في الرواية والمعروف، وهو أيضا المعروف في اللغة: أن "تكسب" بفتح التاء، وقولها "تكسب المعدوم" إشارة إلى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يكسب الناس أو يكسب الإنسان المعدوم الذي لا يجد شيئا يكسبه، فضلا منه -صلى الله عليه وسلم- فإنه -عليه الصلاة والسلام- يُعطيهم، يُعطي المنقطعين ويمن عليهم -صلى الله عليه وسلم- بما آتاه الله -عز وجل- من فضله، لا سيما إذا لم يجدوا غيره -عليه الصلاة والسلام- ليكسبهم.

"وتقري الضيف" أي أنه -عليه الصلاة والسلام- يطعم الضيف، وهذا من مروءات العرب ومحاسن الجاهلية التي أقرها الإسلام؛ ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه".

"وتعين على نوائب الحق"

نوائب جمع نائبة، وهي ما ينوب الإنسان وينزل به من الحوادث والشدائد، فإذا وقعت على إنسان مُلمة أو شدة فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- يعينه عليها، والنوائب قد تكون مادية وقد تكون غير مادية.

فذكرت هذه الصفات الأربع، جعلتها تعليلاً لقولها: "كلا والله ما يخزيك الله أبدا".

"فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل"

يعني انطلقت بالنبي -صلى الله عليه وسلم- حتى جاءت به ورقة بن نوفل، وهو ابن عمها، ذكرت من صفته: "وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتابة العبرانية، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية" هي ذهبت به إلى ورقة بن نوفل، وهو ابن عمها؛ لأنه كان على الملة النصرانية، فهم أهل الكتاب، وأهل الكتاب يؤمنون بالوحي؛ لأن نبيهم قد نزل عليه وحي، ولهذا فالنصارى أقرب إلى المسلمين من المشركين ومن اليهود، وأهل الكتاب أقرب إلى المسلمين من المشركين، وهذا طبعاً في الجملة. هنا ذكرت أيضاً من صفته أنه كان عالماً؛ لأنها قال: "كان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية"

العبرانية -كما ذكر أهل العلم- هي إحدى اللغات، ومعها السريانية، وثمة العربية، بعضهم يقول: إن الإنجيل نزل بالسريانية، فكان ورقة يكتبه بالعبرانية يعني ينقله بالعبرانية، والحقيقة أن هذه الجملة "وكان يكتب الكتابة العبرانية فيكتب من الإنجيل بالعبرانية" فيها نوع من عدم الوضوح، وبعض

النسخ جاء فيها: "وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعربية" أي أنه يحوّل كتابة الإنجيل من عبرانية إلى عربية لأنه يعرف الدينين ويعرف اللسانين.

وجاء في بعض روايات الحديث الثابتة في صحيح البخاري قالت: "كان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله" وهذه عبارة واضحة، أي أنه كان يكتب، أو مجموع ما ورد من الروايتين يدل على أنه كان يكتب الإنجيل بالعبرانية ويكتبه أيضا بالعربية.

ومجيء خديجة بالنبي -صلى الله عليه وسلم- إلى ورقه بن نوفل لأنها علمت أنه صاحب علم وأنه أقرب من غيره في إفادتها ما سيسأل عنه من حال الرسول -صلى الله عليه وسلم- في غار حراء.

قالت: "وكان شيخا كبيرا قد عمي" هذا التوصيف لورقة بن نوفل أوردته لأنه سيرد بعد ذلك ما يتعلق به في قوله: "يا ليتني كنت فيها جذعا" لأنه الآن قد صار شيخا كبيرا هريما.

فقالت له خديجة: "يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك"

قالت لورقة: اسمع من النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فقال له ورقة: "يا ابن أخي ماذا ترى؟"

فأخبره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خبر ما رأى في الغار، فقال له ورقة: "هذا الناموس

الذي نزل الله على موسى"

الناموس هو صاحب السر، وعلى هذا جمهور أهل العلم، فإذا كان هذا الناموس الذي ينزل على

موسى معناه أنه وحي من الله، يعني أنه جبريل -عليه السلام-.

قال: "يا ليتني فيها جَدَعًا" يعني يتمنى أنه يكون في البعثة جَدَعًا؛ حتى يؤمن بالنبى -صلى الله عليه وسلم-، وهذا سبب وصف عائشة -رضي الله عنها- له بقولها: "وكان شيخا كبيرا قد عمي" لأنه تمنى أن يكون جَدَعًا وهو قد شاخ وكبرت سنه.

وقوله: "يا ليتني فيها جَدَعًا" لا بد من تقدير كان، "يا ليتني -كنت- فيها جَدَعًا" حتى يصح النصب في قوله جَدَعًا.

"ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك"

فقال الرسول -عليه الصلاة والسلام-: "أومُخرجي هم؟"

وإنما قال النبى -صلى الله عليه وسلم- "أومُخرجي هم" لأن العرب عندها العصبية، قبائل العرب عندها عصبية؛ ولذلك كانوا يتناصرون في الخير والشر، فلما أخبره أن قومه -قريشا- سيخرجونه كأن النبى -صلى الله عليه وسلم- تعجب من ذلك واستبعده وقال: "أومُخرجي هم" لأن هذا خلاف ما كانت عليه العرب من الحمية لمن ينتسب إليها، حتى أن العرب لا تنتصر لغيرها ولو من جهة الولاء.

قال: "نعم".

وقول ورقة بن نوفل هذا استفاده من سير الأنبياء السابقين؛ لأنه ما بُعث من نبى إلا عارضه قومه، ولا سيما الملاء منهم، وأخرجوه.

ولهذا ذكر الله - عز وجل - الإخراج في قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾.

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾.

إذن فورقة بن نوفل استفاد من سير الأنبياء أنهم إذا دعوا قومهم إلى ما أمرهم الله - عز وجل - به فإنهم يسعون لإخراجهم، كما ذكر الله - عز وجل - ذلك عن نوح وعن لوط ونحوهم من الأنبياء، وعن شعيب ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾.

وقال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾.

كما ذكر الله في الشعراء عن نوح وعن لوط ونحوهما من الأنبياء.

قال: "نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا" والنصر المؤزر هو النصر القوي الشديد.

قالت: "ثم لم ينشأ ورقة أن توفي"

النبي - صلى الله عليه وسلم - أوحى إليه لكنه لم يرسل، ثبت نبوته، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - لم يدعه بعد إلى الإسلام ولا إلى الإيمان، مات على نصرانيته، ولهذا هو قال: "يا ليتني فيها جذعًا" يعني إذا بُعث، فعلم بهذا أنه لما نزلت عليه ﴿اقْرَأْ﴾ نبي بها فقط.

ومن هنا قال بعض العلماء: إن الفرق بين النبي والرسول أن النبي من نزل عليه الوحي ولم يُؤمر بالبلاغ، والرسول من أُمر بالبلاغ، هذا مأخذ، وإن كان هذا التعريف فيه ضعف، لكن هذا شيء من المأخذ من هذه القصة.

إذن ورقة بن نوفل كان يتمنى أن يدرك بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- لينصره نصراً مؤزراً، ونصرته له تتضمن إيمانه به -عليه الصلاة والسلام-.

"ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتّر الوحي"

فتّر الوحي قال أهل العلم معناه: انقطع الوحي، يعني لم ينزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- قرآن، لكن لا يعني ذلك أن جبريل لم يكن يعود -عليه الصلاة والسلام-.

وقد قال بعض أهل العلم: إن الوحي فتر لمدة ثلاث سنوات، وقيله ستان ونصف، وقيل ستة أشهر، والله أعلم، لكن الوحي فتر، بمعنى أنه لم ينزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- شيء في تلك المدة، لكن هذا لا يمنع أن جبريل كان يعود النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال: وقال ابن شهاب: وأخبرني أبو سلمة.

قوله هنا: (قال ابن شهاب) منهم من قال إنه معلق، يعني علّقه البخاري إلى ابن شهاب، أي حذف إسناده إلى ابن شهاب وقال: (قال ابن شهاب).

لكن هذا المعلق قد وصله البخاري -رحمه الله- في موضع آخر؛ لأن المعلقات عند البخاري بعضها قد يكون معلقاً لم يصله في موضع آخر وبعض المعلقات قد يعلقها في موضع، يعني يحذف الإسناد أو بعض الإسناد ثم يرويها بإسناده في موضع آخر من كتابه، وله في ذلك مقاصد بينها الحافظ -رحمه الله- في كتابه (هَدْي الساري).

إذن بعضهم ذكر أن هذا الحديث مُعلق في هذا الموضع، وإن كان موصولاً في موضع آخر.

ومنهم من ذكر أنه موصول في هذا الموضع، لماذا؟

لأن البخاري -رحمه الله- لما روى في موضع آخر هذا الجزء من الحديث رواه بهذا الإسناد الذي معنا الذي تقدم في الفصل الأول من الحديث الأول، قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، هذا الإسناد هو نفسه روى به البخاري الجزء الثاني من الحديث في موضع آخر.

إذن قوله هنا: (قال ابن شهاب) هذا موصول بنفس الإسناد الذي معنا.

وعلى كلٍّ فهذا لا يضر؛ لأنه لو لم يصله في موضع آخر لتوجه أنه يحتاج إلى تحرير هل هو معلق أو غير معلق، لكن حيث وصله في موضع آخر فالأمر يسير والحمد لله.

قال ابن شهاب: وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، وهو ابن عبد الرحمن بن عوف، وأحد

الفقهاء السبعة، وحديثه مخرج في الصحاح والمسانيد والسنن، وهو من مشاهير الرواة.

عن جابر بن عبد الله.

إذا الحديث الأول والحديث الثاني كلاهما من رواية ابن شهاب، بل بإسناد من رواية يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب.

وهذا الحديث الثاني فيه رواية تابعي عن تابعي، وهي رواية ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن.

أن جابر بن عبد الله الأنصاري وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: "بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرُعبت منه"

هذا هو أحد الموضعين اللذين رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- فيهما جبريل -عليه الصلاة والسلام-.

قوله "فرُعبتُ" أي: فرعت.

"فرجعتُ فقلتُ: زمّلوني، فأنزل الله -عز وجل- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ إلى قوله ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فحمي الوحي وتتابع."

طبعاً عندنا أولاً هذا الحديث حديث جابر لا شك أنه في ابتداء الوحي، فهو مطابق لكيفية ابتداء الوحي، إذن هو في ابتداء الوحي، يعني حديث عائشة وحديث جابر -رضي الله عنهما- كلاهما في

ابتداء الوحي، الذي فيه ﴿اقْرَأْ﴾ والذي فيه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾؛ لأن أول ما نزل اقرأ ثم أعقبتها المدثر، ولا يصح أن أول ما نزل هو سورة الفاتحة.

إذن هذا الحديث حديث جابر -رضي الله عنه- كما ساق المؤلف هو حديث خرجه البخاري موصولاً وأيضاً خرجه الإمام مسلم في صحيحه، فهو متفق عليه، وهاتان الروايتان كما قلنا هما في ابتداء الوحي.

طيب، قوله بعد ذلك: تابعه عبد الله بن يوسف وأبو صالح، وتابعه هلال بن رداد عن الزهري.

تابعه مَنْ؟ قال: تابعه عبد الله، من المتابع؟

أي: تابع ابن بكير، انتبهوا، البخاري له طريقتان، أحياناً يقول: تابعه فلان عن فلان، وهذه أمرها سهل؛ لأنه حدد لك المدار.

وأحياناً يقول: تابعه فلان، ويسكت، وهذا يُعرف بالنظر في الطرق أو بمعرفة طبقات الرواة، فالذي يكون عنده خبرة في طبقات الرواة يمكن أن يميز، والذي ليس عنده الخبرة لا بد أن يرى الأسانيد حتى يعرف المتابعة، هذه تسمى عند العلماء متابعة.

طيب، نأتي الآن، تابعه عبد الله بن يوسف، أي تابع ابن بكير عبد الله بن يوسف، رواية عبد الله بن يوسف خرجه البخاري في صحيحه.

قال: وأبو صالح، أي تابعه أبو صالح، وهو عبد الله بن صالح كاتب الليث، تابع أيضاً ابن بكير، وهذه الرواية خرجها يعقوب الفسوي في تاريخه.

طيب، الآن لو نظرنا إلى هذه المتابعة، تابع ابن بكير، تكون رواية عبد الله بن يوسف عمن؟ عن شيخ ابن بكير، من شيخ ابن بكير؟ الليث.

يعني الحديث الآن يرويه ابن بكير وعبد الله بن يوسف التنيسي وأبو صالح، ثلاثتهم عن الليث، نسبة رواية عبد الله بن يوسف وأبي صالح إلى ابن بكير هذا تسمى المتابعة التامة؛ لأنهما تابعاه في شيخه.

قال: وتابعه هلال بن رداد عن الزهري، تابع من؟

تابع يحيى بن بكير، عن الزهري، كم بين ابن بكير والزهري؟ بينهما روايان، الليث وعقيل، صحيح أم لا؟

إذن لما قال: تابعه -أي تابع يحيى بن بكير- لكن هذه المتابعة تسمى متابعة قاصرة أو ناقصة؛ لأنه لم يتابعه في شيخه، وإنما تابعه في شيخ شيخه، تابعه في الزهري، والزهري بالنسبة ليحيى بن بكير شيخ شيخ شيخه، صحيح أم لا؟

إذن هلال بن رداد، وهو هلال بن رداد الطائي، ليس له ذكر في البخاري إلا في هذا الموضع، روى هذا الحديث عن الزهري، فنسبة روايته إلى رواية يحيى بن بكير تسمى متابعة قاصرة، وإذا نسبناها إلى رواية عقيل صارت متابعة تامة، لو قال: وتابع عقيل هلال بن رداد: صارت متابعة تامة، لكن حيث قال: وتابعه -أي تابع ابن بكير- لأن الضمير عائد إليه، تابعه هلال بن رداد، ولم يرو عن شيخه

ولا شيخ شيخه، وإنما عن طبقة ثالثة من الشيوخ، فصارت هذه متابعة قاصرة أو ناقصة يسميها العلماء، والبخاري -رحمة الله عليه- يورد المتابعات، سواء أوردتها على جهة التقوية أو على جهة البيان أو على جهة التعليل، وسيمر شيء من ذلك إن شاء الله.

وقال يونس ومعمر: بوادره.

يونس هو ابن يزيد الأيلي، ومعمر هو ابن راشد الصنعاني، وهما من أشهر الرواة عن الزهري، ومن الحفاظ الذين خُرج لهم في الصّحاح والسُّنن المسانيد، ومعمر بالذات تدور على روايته أحاديث الأَمْصار، وهو مشهور، ويونس بن يزيد الأيلي، معروف وثبت، قالوا في روايتهما عن الزهري: بوادره، بدلا من "يرجف بها فؤاده" قال "ترجف بها بوادره" والبادرة هي عبارة عن لحمة بين الكتف والعنق، وهذا الرجفان في هذه البوادر إنما جاء نتيجةً لارتجاف القلب، القلب إذا رجف واشتد ارتجافه ارتجفت هذه اللحمة، فهذا يدلنا على شيئين، الشيء الأول: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أصابته رجفة شديدة.

والثانية: أن الرواية ليس فيها اختلاف بين عقيل وبين يونس ومعمر؛ لأن الرواية هنا جاءت بالمعنى، والرواية عند العلماء بالمعنى لا يُقدح فيها، إنما تُعل الرواية بالمعنى إذا حصل خطأ فيها، بمعنى أنه إذا رواه على وجه لا يلتئم مع الوجه الآخر فعندئذ تكون إحدى الروايتين مُعلّة.

إذن هنا قال أهل العلم: لا اختلاف بين الروايات، فلما رجف قلبه -صلى الله عليه وسلم- تبعته بوادره -عليه الصلاة والسلام- فحصل لها ارتجاف.

نعم.

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ قَالَ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَبِي عَائِشَةَ قَالَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ
بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى
الله عليه وسلم- يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أَحَرَّكُهُمَا لَكُمْ
كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أَحَرَّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ
يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفْتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾
قَالَ: جَمَعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قَالَ؛ فَاسْتَمِعَ لَهُ وَأَنْصَتُ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا
بَيَانَهُ﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ.

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ
النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- كَمَا قَرَأَهُ.

موسى بن إسماعيل في هذا الحديث هو المنقري، وهو حافظ ثقة مُخرج له في الصحيحين.

قال: حدثنا أبو عوانة، وهو الواضح بن عبد الله الشكري، وهذا أيضا من الحفاظ المشهورين.

قال: حدثنا موسى ابن أبي عائشة، أبو الحسن الكوفي، وهو أيضا معروف ومشهور، من التابعين،

وهو حافظ، وحديثه مخرج في الصحيحين والسنن وغيرها.

قال: حدثنا سعيد بن جبير، وهو الإمام المعروف، حديثه مخرج في الصحاح.

وهذا الحديث خرجه الإمام مسلم في صحيحه، ورواته كلهم مخرج لهم في السنن والصحاحين،

ولهذا يقول بعض أهل العلم: هذا على شرط الستة.

وفيه رواية التابعي عن التابعي، موسى بن أبي عائشة قد روى هذا الحديث عن سعيد بن جبير.

قوله: "كان -صلى الله عليه وسلم- يعالج من التنزيل شدة"

معالجة الشيء هي محاولته مع المشقة، وقد تقدم ما كان يعانيه النبي -صلى الله عليه وسلم-

حين ينزل عليه الوحي، وهذا مضى.

"وكان مما يحرك شفتيه"

أي أنه -صلى الله عليه وسلم- كان كثيراً ما يحرك شفتيه؛ لشدة التنزيل عليه -صلى الله عليه وسلم-

وسلم-.

فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحركهما، وقال

سعيد بن جبير: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما.

وهذا فيه تسلسل، يسمى عند العلماء المسلسل، لكنه لم يسلسل بهذا إلى نهاية السند، لكن ابن

جبير فعل كما فعل ابن عباس، وهذا فيه نوع من التسلسل، قال: فحرّك شفتيه.

فأنزل الله - عز وجل - ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ثم ذكر تأويل ابن عباس لهذه الآية.

طيب، لو نظرنا إلى الحديث، ما علاقته بابتداء الوحي؟

أولاً: قوله "كان يعالج من التنزيل شدة" ليس فيه تخصيص لزمان الوحي الذي كان يعالج فيه هذه الشدة، بل ظاهره أنه كلما نزل عليه الوحي يعالج - صلى الله عليه وسلم - شدة، إذن هو ينطبق على ابتداء الوحي وعلى آخر ما نزل عليه - عليه الصلاة والسلام -، إذن فهو يدل على قوله (ابتداء) كيف كان ابتداء الوحي، أي أن من صفة الوحي حين نزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - منذ ابتداءه أنه كان يعالج شدة، فأتى الآن تفهم منه أن الشدة لم تكن بعد نزول بعض الوحي على النبي - صلى الله عليه وسلم - بل هذه الشدة جاءت مع ابتداء نزول الوحي، وهذا ظاهر في قوله "وكان يعالج من التنزيل الشدة".

وضمه مع ما سبق من قصته في غار حراء يتبين لك أن هذه الشدة لم تكن مخصوصة بوقت، إذن فيصح الاستدلال بها كيف كان ابتداء الوحي، يعني كان من صفته عند ابتداءه أنه كان شديداً على النبي - عليه الصلاة والسلام - لكن لا يمنع ذلك استمرارية هذه الشدة إلى أن قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنْ الزُّهْرِيِّ، ح وَحَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ وَمَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ نَحْوَهُ، قَالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ

حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ".

طيب، هذا الحديث أولاً: قوله حدثنا عبدان، عبدان هذا لقب لعبد الله بن عثمان بن جبلة العتكي، هذا لقب، بعض الرواة يُشهر بلقبه، العلماء -رحمهم الله- ذكروا الألقاب و صنفوا في الألقاب، بعضهم يكون قد لا يعرف إلا باللقب، وبعضهم يكون اللقب غالباً، وبعضهم يعرف باسمه ولقبه. فعبدان هذا لقب له، وإلا فاسمه عبد الله بن عثمان بن جبلة العتقي، وهو مخرج له في الصحيحين، وهو ثقة.

قال: أخبرنا عبد الله، وهو عبد الله بن المبارك، الإمام الشهير المعروف.

قال: أخبرنا يونس، وهو ابن يزيد الأيلي.

عن الزهري، وهو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب، وقد تقدم.

ح وحدثنا بشر بن محمد، ح استعملها البخاري على قلة، واستعملها أيضاً أبو داود، لكن أكثر منها الإمام مسلم، الإمام مسلم أكثر من قوله ح وحدثنا.

ح أولاً: إذا قرئت لا تنون، يقال ح وحدثنا، لا يقال: (حاء) وحدثنا.

ثانياً: هذا الرمز يشيرون به إلى الانتقال من إسناد إلى آخر، الآن عندنا الإسناد الأول هل تم؟

ما تم إلى الآن الإسناد، وقفنا عند الزهري.

طيب، الآن تحول إلى إسناد آخر، قال: ح وحدثنا بشر بن محمد، قال: أخبرنا عبيد الله، قال:

أخبرنا يونس ومعمر عن الزهري.

الآن الزهري وصلنا إليه، إذن الإسنادان إلى الزهري متغيران، ومن الزهري إلى مَنْ فوقه متحدان،

قال الزهري: أخبرني عبيد الله، عن ابن عباس.

إذا لو قال قائل: اقرأ علينا الحديث بالإسناد الأول فقط، تقول: قال البخاري: حدثنا عبدان قال

أخبرنا عبد الله قال أخبرنا يونس عن الزهري قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس.

وبهذا يتضح.

إذن قال: ح وحدثنا بشر بن محمد، بشر بن محمد هو بشر بن محمد المرّوزي السخيتاني، وقد

تفرّد الإمام البخاري -رحمه الله- بالرواية عنه من بين أصحاب الكتب الستة، لم يرو عنه إلا البخاري،

وليس له رواية في مسلم ولا في السنن.

قال: أخبرنا عبد الله، هو ابن المبارك.

قال: أخبرنا يونس ومعمر عن الزهري.

إذن لماذا جاء بالإسناد الثاني؟ الإسناد الثاني جاء به لغرض، الإسناد الأول عبدان لما روى هذا

الحديث عن ابن المبارك اقتصر فيه على شيخ واحد لابن المبارك، وهو يونس، ومحمد بن بشر رواه

عن ابن المبارك قال: أخبرنا يونس ومعمر، فأضاف معمرا، وعلى هذا فسبق اللسان الذي قلت قبل

قليل؛ لأنني قلت: الإسنادان مُتحدان أو مختلفان في الأول، ليس المقصود الاختلاف الكلي، إنما الاختلاف لأن فيه إضافة معمر، تعرفون أن زيادة راوٍ في الإسناد كحذفه من الإسناد.

إذن هو في هذه الرواية قرن بين يونس ومعمر، إذن جاء الإسناد هكذا: يونس ومعمر هذا يسمى المقرون، يعني قرناً يونس بمعمر، هو صحيح متابع متابعة تامة لكن إذا ورد على هذا السياق والنحو يقال: هذا رواية المقرون؛ لأن الراوي الواحد الذي روى عنهما قرن هذا بهذا، لكن المتابعة أحياناً قد يكون الإسناد مختلفاً لكن يشتركان في الشيخ.

إذن هو أورد هذا الإسناد لأن فيه إضافة معمر مع يونس، تعلمون أن هذا له فائدة، ليس هو مجرد ذكر فقط، المتابعات تفيد في تقوية الحديث وإن كان الحديث في أصله صحيحاً، كلما كثرت طرق الحديث الصحيحة ازداد بها الحديث قوة، فالحديث الذي يرويه ثلاثة من الحفاظ ليس كالحديث الذي يرويه حافظ واحد.

إذن قال: ومعمر عن الزهري نحوه.

طبعاً لما قال: (نحوه) وعندنا الآن إسنادان، رواية يونس هذه واحدة ذُكرت في الإسنادين، ورواية معمر، إذن الرواية -لفظ الحديث- هو ليونس، ورواية معمر بالمعنى؛ ولهذا قال: نحوه.

ويحتمل أن بشر به محمد رواه عن الاثنين بالمعنى، واللفظ لرواية عبدان؛ لأن عبدان أوثق من بشر بن محمد، لكن الرواية ليس فيها اختلاف؛ ولهذا قال البخاري: نحوه.

إذا قال العلماء: نحوه، أي بمعناه.

طيب ما مناسبة قوله: أخبرني عبيد الله بن عبد الله؟

عبيد الله بن عبد الله هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وهو من الفقهاء السبعة، فقهاء المدينة، والزهري كما قلنا من صغار التابعين، روى هذا الحديث عن عبيد الله بن عبد الله، وهو من التابعين، فهو من رواية التابعين عن التابعين.

طيب ما هي مناسبة هذا الحديث للباب؟

هذا الحديث طبعاً متفق على صحته، قد خرج أيضاً مسلم في صحيحه، طيب ما مناسبة هذه الترجمة لباب بدء الوحي؟

أولاً: إذا قلنا بأن البخاري -رحمه الله- يخرج في الباب ما يتعلق بالترجمة أو ما له صلة بالأحاديث المتعلقة بالترجمة فالأمر واضح؛ لأن هذه الأحاديث في الوحي والحديث هنا في الوحي، ويكفي هذا.

إذا أردنا أن ننظر إلى التبويب بالمعنى الخاص (كيف ابتداء الوحي) فهل هناك مناسبة؟

هو الآن لما قال: "كان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه كل ليلة في رمضان فيدارسه القرآن" طبعاً هنا رمضان لم يحدد في أي زمن ابتداء، ليس فيه متى ابتدأت المدارس، والظاهر أن المدارس ابتدأت مع نزول القرآن، والقرآن نزل جملة إلى السماء الدنيا في رمضان.

فهنا لما ذكر أن جبريل يدارس النبي -صلى الله عليه وسلم- إذن يقال: إن جبريل كان يدارس النبي -صلى الله عليه وسلم- منذ أن ابتداء الوحي، من أن ابتداء كان جبريل يدارس النبي -صلى الله عليه وسلم- القرآن في رمضان، وهذا وجه في ارتباطه بالتبويب الأخص.

نعم.

قال - رحمه الله -:

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّامِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا.

فَقَالَ: أَذْنُوهُ مِنِّي وَقَرَّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَأَلْتُ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذَّبُوهُ.

فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْتُرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ.

ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟

قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ.

قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟

فَقُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.

قَالَ أَيْزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟

قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ.

قَالَ: فَهَلْ يَزِيدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخَطَةَ لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ يَعْدِرُ؟

قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ: وَلَمْ تُمَكِّنِي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ

هَذِهِ الْكَلِمَةِ.

قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟

قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ.

قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟

قُلْتُ: يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَةِ.

فَقَالَ لِلتَّارِكِيْنَ: قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرَّسُلُ تَبَعَتْ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتِسِي بِقَوْلٍ قَبْلَهُ.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكُذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ.

وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضِعْفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضِعْفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرَّسُلِ.

وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ.

وَسَأَلْتُكَ أَيَّرْتُدُّ أَحَدٌ سَخِطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ
بَشَاشَتَهُ الْقُلُوبَ.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ.

وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَأَكُمْ عَنْ عِبَادَةِ
الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ.

وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّصْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ
كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي بَعَثَ بِهِ دَحِيَّةً إِلَى
عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرْقَلٍ فَقَرَأَهُ فِإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى
هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسْلَمَ يُؤْتِكَ
اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا
أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَّغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخْبُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ
وَأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمَرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَمَا
زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيُظْهِرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ.

وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرْقَلُ سَقْفًا عَلَى نَصَارَى الشَّامِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرْقَلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ
أَصْبَحَ يَوْمًا حَيْثُ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ، قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ: وَكَانَ هِرْقَلُ حَزَاءً

يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ،
فَمَنْ يَخْتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟

قَالُوا لَيْسَ يَخْتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهَمَّنَكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ
الْيَهُودِ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أَتَى هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانٍ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى
الله عليه وسلم- فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ اذْهَبُوا فَاَنْظُرُوا أَمْخَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا، فَنظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ
مُخْتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَخْتِنُونَ، فَقَالَ هِرَقْلُ هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ، ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ
إِلَى صَاحِبِ لَهُ بِرُومِيَّةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمَصَ فَلَمَ يَرِمُ حِمَصَ حَتَّى آتَاهُ كِتَابٌ
مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ
الرُّومِ فِي دَسْكَرَةِ لَهُ بِحِمَصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَعُلِّقَتْ ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ
وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فِتْبَاعِيُوا هَذَا النَّبِيَّ؟

فَحَاصُّوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفَرَتَهُمْ وَأَيْسَ
مِنَ الْإِيمَانِ قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي أَنِفًا اخْتَبِرْ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ،
فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلِ.

رَوَاهُ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ وَيُونُسُ وَمَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

هذا سؤال يقول: ذُكر في الحديث أنه كان يتعبد في الغار، كيف كان يتعبد وهو لم يُبعث؟

-تعرفون أن العرب على دين الخليل -عليه السلام- والذي حرّف دين الخليل هو عمرو بن لُحَي الخزاعي الذي رآه النبي -صلى الله عليه وسلم- يجر قُصَبَه في النار، في صلاة الكسوف، لأنه ذهب إلى الشام ورأى ما عندهم من الانحراف عن دين النصرانية من عبادة غير الله، فجلب الأصنام إلى مكة فعُبدت من دون الله -عز وجل-.

إذن فالنبي -صلى الله عليه وسلم- حينما كان يتحنث فإنما هو على ما هو معروف من دين الخليل -عليه السلام- الباقي، والعرب كانت تتسبب إلى إبراهيم، أو ينسبون إبراهيم إلى أنفسهم، والنصارى ينسبون إبراهيم إلى أنفسهم، واليهود كذلك، بين الله -عز وجل- أو ردّ الله عليهم هذا الإفك ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وهذه الآية جاءت بعد آيات ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ والمراد بالإسلام هنا الاستسلام لله تعالى، الذي يدخل فيه جميع الأنبياء؛ لأن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- دينهم الإسلام الذي هو الاستسلام لله تعالى المذكور في قوله ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ وفي قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾

فَيُعَلِّمُ بِهَذَا أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ عَلَى الدِّينِ الَّذِي لَمْ يُغَيِّرْ، يَعْنِي أَنَّهُ يَتَعَبَّدُ لِلَّهِ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي لَمْ يُحَرِّفْ؛ لِأَنَّ مُوسَى لَمْ يُبْعَثْ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَلَا عِيسَى، كُلُّ نَبِيٍّ كَانَ يُبْعَثُ فِي قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَالدِّينَ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ قَرِيشٌ لَمْ يَكُنْ دِينَ الْيَهُودِ وَلَا النَّصَارَى وَإِنَّمَا كَانَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ، فَيُقَالُ: التَّعَبُّدُ هُنَا لِلَّهِ مَعْنَاهُ التَّضَرُّعُ وَالِإِخْبَاتُ وَالدُّعَاءُ، وَغَيْرُهُ مِمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

هذا سؤال: الوحي للأنبياء والإلهام للأولياء أو لجميع العباد؟

-النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن يكن في أمتي محدثون فعُمر".

يعني إن يكن في هذه الأمة ملهمون، والإلهام أو ما يحصل من خواطر عند الإنسان أو المنامات هذه بالنسبة لغير الأنبياء لا ينبنى عليها شيء، لكن الإلهام في حق العباد غير الأنبياء ما معناه؟ يعني أن تأتي مسألة معضلة فتُلهم جوابها، أو مثلاً تخير بين أمرين فيلهمك الله -عز وجل- الأحسن منهما، لكن لا ينبنى عليه تشريع، نهائياً.

لو قال شخص: وقع في قلبي أن هذا الفعل جائز، أو مكروه، أو حرام، قلنا له: هذا لا ينبنى عليه شيء، هذا لا يقدم ولا يؤخر في أحكام الشريعة، نحن متعبدون بكتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، والواجب على كل من آتاه الله علماً النظر في الدليل لا في ما وقع في قلبه.

ولو قال إنسان: أنا رأيت رؤيا صادقة في المنام، ثم جاءنا بتشريع وعبادة، يقال له: هذا الكلام لا يجوز، إنما الرؤيا التي يصدّقها الشرع هي الحق، مثل قصة الأذان، رأى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأذان في منامه، فجاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فأمره -صلى الله عليه وسلم- أن يلقيه على بلال، فصار شرعا بأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- له بإلقائه على بلال لا بمجرد الرؤيا، وعلى هذا يقال: الإنسان قد يوفق وقد يُدَلَّ على الخير، وأولياء الله -عز وجل- يسددهم الله ويعينهم؛ لأن ﴿اللَّهُ

مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

لكن لا يثبت بذلك أحكام شرعية، الأحكام الشرعية إنما تثبت من جهة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

ولهذا هناك أناس تقول: حدثني قلبي عن ربي! وهؤلاء موجودون ليسوا بغائبين، موجودون في بلاد المسلمين للأسف من أصحاب الطرق الصوفية، يقول: حدثني قلبي عن ربي، ويقول: أنا آخذ عن الله، ما آخذ عن الكتاب ولا السنة، أنا آخذ مباشرة من الله، يعني هو أرفع من النبي -صلى الله عليه وسلم-، النبي -صلى الله عليه وسلم- بواسطة وهذا بدون واسطة، ولهذا حين يقول لك بعض الناس: إن الأولياء أرفع منزلة من الأنبياء يقول لك: لأن الولي هذا يأخذ من الله مباشرة.

ولهذا ترون بعض الضلال مثل هذا الذي في تركيا فتح الله كولن على وسائل الإعلام يقول: أنا

أكلم الله مشافهة! بدون واسطة!

وأي فريّة أعظم من هذه الفريّة.

إذن هم موجودون، أصحاب الطرق الصوفية هؤلاء وأتباعهم يعتقدون هذه العقائد الفاسدة، لا تظنوا أنها كلام مكتوب في الكتب، لا يزالون إلى يومنا هذا، لكن الحمد لله في بلادنا برّأنا الله -عز وجل- منهم وطهرها منهم فلا نراهم ولا نسمع كلامهم، لكن ما كُتِب في الكتب هو موجود، وأهل تلك البلاد من أهل السنة يعرفون هذا الكلام، وهو أيضا موجود حتى على وسائل الإعلام الآن وعلى وسائل التواصل، موجود، يقولون ذلك علانية، يأخذ عن الله مباشرة هذا الولي! أو يقول لك: إني رأيت في المنام، ويصير هذا المنام حجة على غيره، ويتعبدون لله به، وهذا من أعظم الفري على الله -عز وجل- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

هؤلاء يقولون: سنتزل مثلما أنزل الله! بل أحسن مما أنزل الله!

ويزعمون أنهم يُوحى إليهم، ويكذبون على الله -عز وجل-، فهذه الآية منطبقة عليهم تماما.

يقول: هل ذكر حديث في ورقة بن نوفل؟

وهل دعا له النبي -صلى الله عليه وسلم- وهل ذكر فيه شيء؟

-والله أنا بالنسبة لعلمي لا أعلم شيئا.

هذا السؤال يقول: في بعض روايات حديث جبريل الطويل أنه جاء في صورة الصحابي دحية الكلبى -والصحابه يعرفون صورته- فأشكل عليّ قولهم: لا يعرفه منا أحد.

-كونه جاء في صورة دحية الكلبى في حديث جبريل الطويل يحتاج إلى إثبات صحة هذه الرواية قبل الكلام عليها.

إذا كان تمثيل النبى -صلى الله عليه وسلم- فيه نوع انتقاص له، هل تمثيل أفعاله لتعليم الناس داخل في ذلك؟

نحو قوله -صلى الله عليه وسلم-: "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين" والتمثيل بالأصبعين وغير ذلك.

-لا، هذا غير داخل؛ لأن الممثل يتقمص الشخصية، يقول: أنا رسول الله، يخرج بصورة رسول الله، الممثل الآن ليس يحكى، النبى -صلى الله عليه وسلم- حكى نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، حكى كيف كان النبى يزيل الدم عن جبينه، هذه الحكاية قال بعض أهل العلم إن النبى -صلى الله عليه وسلم- كان يحكى نفسه؛ لأن قومه أدموه، فكان يحكى نفسه، لكن هذا قول ضعيف، لكنه كان

يحكي نبياً آخر، هو لما حكاها ما قال: أنا ذلك النبي، إنما بين الصفة التي كانت... كما مر حديث ابن عباس: يحرك شفتيه، ابن عباس ما قال: أنا رسول الله، سعيد بن جبير ما قال: أنا رسول الله.

الكلام في الرجل الذي يتقمص الشخصية، يأتي يقول: أنا رسول الله، أو أنا فلان ابن فلان، واحد اسمه محمد بن خالد يجيء يتقمص شخصية يزيد، يقول: أنا يزيد ابن فلان، هذا كذب، لكن لو قال: إن يزيد فعل بيده هكذا أو قال بيده هكذا أو قال كذا، هذا ليس بكذب، هو يحكي.

إذن فالذي فيه انتقاص هو تقمص الشخصية، يعني يأتي يقول: أنا رسول الله، هذا الذي يقول: أنا رسول الله أو لا تعرفون أن صفات النبي - صلى الله عليه وسلم - الخلقية على ثلاثة أقسام: قسم ثابت صحيح، وقسم ضعيف، وقسم لم يرد فيه شيء، وقسم ورد فيه الصفة لكن ليست صفة دقيقة.

لو سألك شخص الآن فقال: ما صفة أذني النبي - صلى الله عليه وسلم -؟

ما تعرفها؛ لأنها ما وردت في الأحاديث.

طيب هذا الذي يمثل النبي - صلى الله عليه وسلم - إنسان له أذنان، صحيح أم لا؟

طيب الآن لما يقولون: وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - كان مستديراً، وجاء أنه كالسيف وجاء أنه كالشمس وكالقمر، إلى غير ذلك من الألفاظ، وجمع العلماء بينها على اختلاف في الجمع، هل يمكنك من الآن تحدد دقة هذه الصفة تماماً؟

يعني كثير من الناس وجهه مستدير لكن الناس تختلف في نسبة الاستدارة.

لو سألناك: كان كفا النبي -صلى الله عليه وسلم- غليظتين وقدماه كانتا غليظتين ورأسه كان فيه استطالة، الاستطالة تختلف، والغلظ يختلف من شخص لآخر، والأحاديث صحيحة ثابتة لكن تختلف، طيب هذا لما يتقمص النبي -عليه الصلاة والسلام- هذا داخل في قوله: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار".

كذب عليه في الشرع أو في الهيئة، يدخل في هذا الحديث.

هذه واحدة، ثانيا: هو لما يتقمص الشخصية هو الآن يجعل الأدنى في منزلة الأعلى، وهذا نقصان في حق الأنبياء، انتقاص الأنبياء.

والثالثة وهي الأخطر، أن يدعي يقول: أنا رسول الله، يعني معناه أنه ينزل عليه وحي، معناه أنه يعلم شيئا من الغيب الذي أطلعه الله تعالى عليه، معناه أن كل خصائص النبي وآياته ومعجزاته كلها تلتحق به، هو كاذب، ومجرد ادعاء النبوة كفر، فضلا عن ادعاء علم الغيب، وهو كفر بالإجماع، والكذب على الله -عز وجل- من كبائر الذنوب، وكفر بعض أهل العلم من كذب على النبي -صلى الله عليه وسلم- في الأخبار يعني أنه ينقل شرائع، جمهور أهل العلم على أنه لا يكفر لكن بعض أهل العلم يقول: من جاء بأحاديث ونسبها إليه -صلى الله عليه وسلم- وهو كاذب فيها يعني افتعلها فهو كافر، وإن كان الجمهور على خلافه.

فالمسألة خطيرة، المقصود أن المراد هو تمثيل شخص النبي -صلى الله عليه وسلم- يأتي يقول:

أنا رسول الله، ما يقول: قال رسول الله، أو فعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كذا، أو أكل النبي -صلى الله عليه وسلم- بأصبعيه، أو قال بيده هكذا، لا، ليس هذا هو المراد عندنا.

هذا أحد الإخوة - جزاه الله خيراً - يقول: ثمة حديث: "لا تسبوا ورقة فإني رأيت له الجنة أو

الجنة".

رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وذكره الألباني في الصحيحة، ورجّح

الدارقطني إرساله.

-الدارقطني يا إخوان هو إمام مقدم على الحاكم وعلى جميع من ذكر، الدارقطني يفضل العلماء

على مسلم في علم الحديث ويجعلونه موازياً أو دون البخاري بقليل، وهو من أئمة المنهج في

الأحاديث والحكم عليها، المنهج الذي عليه الإمام أحمد وعلي بن المديني وابن مهدي وابن معين

والأئمة.

الحاكم - رحمه الله - اختطّ منهجاً صحح به أحاديث لا تصح عند العلماء، وتبعه على عذاب في

هذا الشيخ ناصر الألباني - رحمة الله على الجميع - فهؤلاء مجرد ما يأتي الحديث بالإسناد يحكمون

له بالصحة، لو جاء إسناد آخر يعارضه فيه إرسال قالوا: الحديث للواصل، وصححوه، وهذا طبعا

خطأ؛ لأنه إذا صححت الواصل معناه أنك وهّمت الراوي الذي رواه مرسلاً، قلت: هذا ما ضبط

الحديث، لو جاء مثلاً حديث رواه عقيل عن الزهري عن أنس - رضي الله عنه - حديثاً، ثم جاءنا مثلاً

يونس ومعمراً فرويا هذا الحديث عن الزهري مرسلاً، فإذا قلت: إن الحديث موصول برواية عقيل

معناه أن عقيل ضبط وأن معمراً ويونس قد أخطأ ووهما، طبعا تخطئة الثقات خطأ؛ لأنه إذا كثرت

الأوهام صار الراوي ضعيفاً، وطريقة الحاكم يلزم منها -إذا نظرنا إلى الأحاديث- يلزم منها تخطئة وتوهيم كثير من الحفاظ الأثبات الذين رووا أحاديث مرسله قد وصلها غيرهم، وهذا يؤدي بالتالي إلى تنزيل الراوي عن مرتبته.

فالشاهد أن هذا الحديث إذا حكم عليه مثل الدارقطني أو غيره من الأئمة فلا يعرَّج على من عندهم نوع من التساهل، إلا بالبراهين، يعني لو عندنا حديث مرسل حكم الدارقطني بإرساله لكن خرج البخاري في الصحيح، اعتمدنا ما في الصحيح، لو قال الدارقطني مرسل وصححه الإمام أحمد صار فيه نظر آخر، ترجيح بين الأقوال، أما وقد صححه مثل الدارقطني فلا يلتفت لغيره، إلا أن يكون هذا الغير إما معه برهان قوي يعضد ما قال أو يكون قد سبقه إليه أحد من أئمة الفن.

والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله ومن اهتدى بهداه.

كنا قبل الصلاة قد قرأنا هذا الحديث الطويل، وهو خاتمة كتاب بدء الوحي.

قوله: حدثنا أبو اليمان، هو الحكم بن نافع، وليس في الكتب الستة من هو بهذا الاسم سوى أبي

اليمان هذا.

حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، قال: أخبرنا شعيب، هو شعيب بن أبي حمزة الحمصي، وولده

بِشْر يروي عنه الإمام البخاري -رحمه الله-، بشر بن شعيب بن أبي حمزة، يروي عنه البخاري، لكن

والده شعيب لم يدركه البخاري.

عن الزهري، وقد تقدم، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وقد تقدم، أن عبد

الله بن عباس أخبره، الحديث.

هذا الحديث خرجه الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه في أربعة عشر موضعا، ليس بطوله؛

لأن البخاري -رحمه الله- يقطع الأحاديث ويجعل في كل باب ما يناسبه.

وأيضا هذا الحديث خرجه مسلم في صحيحه، فهو حديث متفق عليه.

قوله في الحديث: أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره، سفيان بن حرب بن

أميّه بن عبد شمس بن عبد مناف، من مسلمة الفتح -رضي الله عنه- ممن أسلم يوم الفتح، تأخر

إسلامه، لم يسلم إلا يوم الفتح، كان رأسا من رؤوس قريش.

أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وذلك في زمن الهدنة التي تمت بين النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو ما يعرف بصلح الحديبية، في سنة ست من الهجرة كان بين النبي -صلى الله عليه وسلم- والمشركين صلح، ونقضته قريش، لكن في هذه المدة كان أبو سفيان بن حرب في الشام موطن الروم.

أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجّاراً، أو تجّاراً، وهي جمع تاجر، ويجوز فيها ضبطان، تجّاراً أو تجّاراً.

وكانوا تجّاراً بالشام في المدة التي كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- مادّ فيها أبا سفيان، وهي صلح الحديبية، وكفّار قريش، يعني المدة التي مادّ فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- أبا سفيان وكفّار قريش، منصوبة على أنه مفعول معه.

فأتوه وهم بإيليا، إيليا أصلها بيت الله، ويقصدون بها بيت المقدس.

فدعاهم في مجلسه وحواله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، يقال: التّرجمان والتّرجمان، وهو الذي ينقل من لغة إلى لغة.

قال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟

فهو يسأل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وإنما طلب أقرب الناس إليه لأن قريب الإنسان أكثر معرفة وبصراً به في العادة من غيره؛ لأنه يعرف بواطنه وظواهره ودواخله ومخارجه، وأيضا ذكر أهل العلم أنه سأل عن أقرب الناس إليه حتى إذا سأل عن نسبه كما سيأتي لا يقدر في نسبه.

قال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً، فقال أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره.

يعني أنه أمرهم أن يقربوا أبا سفيان ويجعلوا أصحاب أبي سفيان - وكانوا نحو من ثلاثين - أن يجعلوهم خلفه؛ لأنه يريد أن يستبين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ويخشى أن يكذب أبو سفيان في هذا، لا سيما إذا كان أصحابه أمامه، أو أنه يخشى أن أصحابه يستحيون من أبي سفيان أن يبينوا عدم صحة مقالته لو قال مقالا خطأ.

ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا - يعني أبا سفيان - عن هذا الرجل أي النبي - صلى الله عليه وسلم -، فإن كذبتني فكذبوه.

فوالله لو لا الحياء من أن يأتروا عليّ كذبا لكذبت عنه.

ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟

هذه أسئلة هرقل لأبي سفيان عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، كيف نسبه فيكم؟

وهذه الأسئلة سيأتي بعد ذلك تقرير هرقل لها، هو الآن يسأل وبعد ذلك يقرر.

قال: ثم كان أول ما سألتني، وأولاً هنا يجوز أن تكون بالنصب ويجوز أن تكون بالرفع.

قلتُ: هو فينا ذو نسبٍ.

قال: ذو نسبٍ، والتنوين عند العلماء له معانٍ، منها التعظيم، وهذا التنوين من باب التعظيم،

والمقصود به تعظيم نسبه، المقصود فيه ليس ذكر أنه ذو نسب فقط، وإنما المراد به أن يذكر عظمة هذا

النسب.

ثم السؤال الثاني: فهل قال هذا القول منكم أحد قبله؟

قلت: لا.

ثم ذكر الحديث الذي أمامكم ثم ذكر الأجوبة، وهي أمور واضحة لكن نعلق على ما قد يحتاج إلى إيضاح.

قال: فهل كان من آباءه من ملك؟

ويجوز أن تكون حرف جر، من ملك، ويجوز أن تكون من موصولة، أي: من ملك، أي: فهل في آباءه من ملك، ورجح الحافظ ابن حجر من الجارة؛ لأنه جاء في رواية لأبي ذر سقوط هذا الحرف، أي: هل كان من آباءه ملك؟

ثم قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه؟

إذا قلت سخطة فإنك تفتح السين، وأما السخط والسخط فيجوز فيها الوجهان، تقول السخط والسخط، ولكن تقول سخطة بفتح السين.

وقيده هنا بقوله: سخطة، "فهل يرتد منهم أحد عن دينه سخطة" حتى يخرج من يخرج عن دينه مكرهاً يُكره على الخروج من الدين، أو قد يخرج من الدين طمعا في الدنيا وليس سخطة لدينه، يعني ليس كراهية وبغضا له، وإنما يؤثر الدنيا عليه.

ثم قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها.

يعني المدة التي بين النبي -صلى الله عليه وسلم- وبين قريش، وهي صلح الحديبية، يقول: ما ندري ما هو فاعل، هل يغدر أو ما يغدر.

قال: ولم تُمكنني كلمةٌ أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة، قال: ولم تُمكنني كلمةٌ، والمُرَاد بالكلمة هنا: الكلام، والمقصود من هذا أنه لم يتمكن من أن يقول أو يذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- بشيء غير هذه.

ثم سأله، قال: فهل قاتلتموه؟ قال: قلت نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟

قلت: الحرب بيننا وبينه سجال.

ويشير بقوله: الحرب بيننا وبينه سجال إلى ما في غزوتي بدر وأحد؛ لأن غزوة بدر انتصر فيها

المسلمون على المشركين وغزوة أحد مال فيها المشركون على المسلمين.

والسجال هي عبارة عن النُوب، يعني نوبة للمشركين ونوبة للمسلمين، أي هؤلاء يغلبون مرة

وهؤلاء مرة كما يقوله هو، رضي الله تعالى عنه.

هذا السؤال -انتبهوا- الأسئلة كلها أجاب عنها، لكن هذا السؤال من قوله: فهل قاتلتموه؟ قلت:

نعم، قال: فكيف قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال.

لم يرد تقرير هذين السؤالين فيما يأتي إن شاء الله تعالى في ما ساقه البخاري - رحمه الله - هنا، لكن لما ساقه البخاري في كتاب الجهاد ذكر هذا التقرير، أنه قال: وسألتك هل قاتلتموه وقاتلكم؟ فزعمتم أن قد فعل، وأن حربكم وحربه تكون دُولًا.

التقرير قال: وكذلك الرسل تُبتلى وتكون لها العاقبة.

هذا ما ذكره المؤلف هنا، لكن ذكره في الجهاد.

إلى أن قال: وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون، يعني المتبعين له - عليه الصلاة والسلام -.

قال: وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.

هذا طبعًا فيه بيان أن الإيمان يزيد، والإيمان يزيد بزيادة شرائعه وتمكنه، وأهله يزدادون، ودين الله - عز وجل - أول ما بدأ غريبًا ثم لم يزل في ازدياد حتى أكمله الله تعالى، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾.

ثم بعد ذلك أخذ في النقصان، حتى لا يبقى في الأرض من يقول: الله الله، تقوم الساعة على شرار الخلق.

وأتباع دين النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يزالوا في زيادة، ليس أتباعه عند وفاته كأتباعه حين بعثته، فإنهم قد ازدادوا ثم انتشر الإسلام بعد ذلك في عهد الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم -.

وقوله في الحديث: فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه.

هذا الكلام هرقل، قوله: أخلص إليه معناه أصل إليه، وقوله: "لتجشمت لقاءه" مراده بذلك أن يتكلف المشقة حتى يصل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه لما ذكرت له هذه الأوصاف استفاد منها أو تحققت منها نبوة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال بعض أهل العلم: إنما منعه من الخروج إما خشيةً على نفسه أن يُقتل، وإما لأنه أثر الحياة الدنيا على الآخرة بعد أن تبين له الحق.

ذكر بعض أهل العلم كلاماً على إعراض أو عدم مسير هرقل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: لو تأمل هرقل قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في كتابه له: "أسلم تسلم" لعلم أنه لو هاجر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- لسلم في الدنيا والآخرة؛ لأن قول النبي -صلى الله عليه وسلم- "أسلم تسلم" ليس خاصاً بالدنيا، وإنما هو في الدنيا والآخرة، قال: فلو أنه خرج مهاجراً إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- لحصلت له السلامة في الدنيا والآخرة.

لكن لم يفعل ذلك، وقدّر الله -عز وجل- جارٍ على عباده.

قال أهل العلم: وقوله في الحديث: ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، دل هذا على أن هرقل لم يكن يريد بهذا الخروج منصباً ولا مُلكاً ولا جاهاً، إنما يريد -لو خرج- إنما كان يريد به القربة والطاعة والخدمة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

قال: وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، يعني أن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب فإن صاحبه لا يرتد عنه أبداً، لماذا؟ لأن البشاشة في أصلها إظهار البشري عند رؤية الشيء، إذا رأى الإنسان الشيء الذي يستبشر به أظهر البشري، وهذه البشري ناتجة عن فرح الصدر بهذا الشيء؛ لأن

البشرى هي تعبير عما في باطن الإنسان، ظهور هذا الشيء على الوجه هو تعبير عما في باطن الإنسان، ولهذا إذا كان يكره الشيء تجد أنه يظهر عليه شيء من أمارات ذلك، وإذا أحب الشيء واستبشر به ظهر عليه شيء من أماراته، والمقصود هنا بمخالطة بشاشة الإيمان القلوب أن الإيمان إذا انشرح به الصدر وفرح به بهذا الإيمان الذي وفقه الله - عز وجل - إليه وقبل هذا الإيمان فإن إخراج هذا الإيمان من قلبه من الأمور العسيرة، بل قد يكون من الأمور المستحيلة؛ لأن هذا الإيمان وقر في قلبه وذاق طعمه وحلاوته.

قال في الحديث: ثم دعا بكتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، ذلك أن الكتاب الذي بعث به النبي - صلى الله عليه وسلم - مع دحية إلى هرقل دفعه هرقل إلى عظيم بصرى، وبصرى هذه مدينة أو مكان بين المدينة ودمشق، وهي في بلاد الشام لكنها في طريق المدينة، وقد ذكر بعضها للعلم أنها حوران.

وعظيم بصرى هذا هو الحارث بن أبي شمر الغساني، فدفعه إلى هرقل فقراه، "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم" ... الحديث.

ثم قال فيه "أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين" لماذا؟ لأن هرقل كان نصرانيا، وقد قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني أن الذين آتاهم الله الكتاب من قبل هذا القرآن هم به يؤمنون، ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ مرة على إيمانهم بعبسى والثانية على إيمانهم بمحمد - صلى الله عليه وسلم -، وبه فسّر قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴿١٠٠﴾ واستدل بأن الخطاب هنا لمؤمني أهل الكتاب، وهذا أحد التأويلين في تفسير الآية.

وقوله: "أسلم تسلم يؤتك الله أجرک مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين" يجوز أن تقول الأريسيين واليريسيين، بالياء، والمراد بهم أهل الفلاحة، من يتعاطى الفلاحة، جمع أريس وهو من يتعاطى الفلاحة.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

هذه الآية تدل على أن أول ما يدعى إليه الكفار توحيد الله - عز وجل -، هذا هو الأصل، يدعون إلى توحيد الله - عز وجل -؛ لأن التوحيد هو أصل الدين، فبدون التوحيد لا عمل يقبل ولا ذنب يغفر، لكن يغفر الذنب ويقبل العمل إذا وجد التوحيد، كل الشرائع مبنية على هذا، التوحيد؛ فلذلك كان أول ما دعاهم إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - هو التوحيد، وهذا هو منهج النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذا منهج الأنبياء جميعا.

ثانيا: في هذه الآية مسألة مهمة، وهي كُفر النصارى، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، لكن عندنا اليوم أقوام شوشوا على عامة المسلمين، يقول لك: الله ما كُفر النصارى! كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وكفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم، لكن ما كُفر النصارى ولا كُفر اليهود!

طبعاً هذا الكلام كلام خطير، ومن قال هذا الكلام فقد وقع في الكفر، فإن لم يتب فهو كافر بالله العظيم بإجماع الأمة، لا يختلفون في هذا البتة، حكى الإجماع الشافعي ومن بعده، كُفر بيقين.

هذه الآية النبي - صلى الله عليه وسلم - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ دعاهم إلى ماذا؟ دعاهم إلى الإسلام، ولو كانوا مؤمنين لما دعاهم، والذين قاتلهم النبي - صلى الله عليه وسلم - لما بعث البعوث إلى الشام، الروم كانوا نصارى قاتلهم النبي - صلى الله عليه وسلم - قاتلهم على ماذا؟ على أي شيء قاتلهم؟ على الدنيا؟ قاتلهم على الدخول في الإسلام، قال الله تعالى ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ دين الحق ما هو؟ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ والذي لا يؤمن بالنبي - صلى الله عليه وسلم - ولو كان يؤمن بالله فهذا كافر، ولو كان يؤمن بجميع الأنبياء إلا النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولهذا كفرهم الله - عز وجل - صريحاً، قال الله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ هذه نزلت في اليهود ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ من الذي جاءهم؟ جاءهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعرفوه وعرفوا صفته لكن لم يؤمنوا به، فحكم الله عليهم بالكفر وقال: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فدل هذا على أن من لم يؤمن بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فهو كافر.

وقول الله - جل وعلا - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ انتبهوا، في الأول قال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ أمرهم بالإيمان بالنبي - صلى الله عليه وسلم - و ضد الإيمان الكفر، هذا أولاً، ثم قال بعد ذلك ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ

بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﷺ يدخل فيهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أم لا؟ يدخل، فدل ذلك على أنهم كفار.

فتنبهوا لهذه المسألة فهي مسألة خطيرة، وللأسف لو كان الذي يروج لها بعض من هو بغير الإسلام لكان الأمر احتّمَل، لكن يروج لها أناس منسوبون إلى الإسلام وبعضهم قد يكون ينتسب إلى الدعوة، لكن الدعوة الباطلة لا الدعوة الحق، صاحب الحق والدعوة ما يصحح دين المشركين والكفار، تصحيح دين المشركين والكفار كفر بإجماع العلماء لا يختلفون فيه البتة، بل ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح أنه لا يُعذر أحد في هذه المسألة بجهله.

طيب، قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب، يعني ارتفعت الأصوات واختلطت.

وقوله: لقد أمر أمرُ ابن أبي كبشة، هذا يقوله أبو سفيان، والعرب من عاداتها إذا أرادت استنفاص الشخص نسبته إلى من ليس بمعروف من آباءه.

قال العلماء: للنبي -صلى الله عليه وسلم- جد يُكنى بأبي كبشة من أجداده المتقدمين لكن هذا الجد كان غامضاً ليس بمشهور، فنسب أبو سفيان النبي -صلى الله عليه وسلم- إليه استنفاصاً للنبي -صلى الله عليه وسلم-.

وقوله: لقد أمر أمرُ ابن أبي كبشة يعني عظم شأن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعلل ذلك قال: إنه يخافه ملك بني الأصفر، بنو الأصفر هم الروم، نُسبوا إلى بعض أجدادهم، وقال بعض أهل العلم:

نُسبوا إلى ما دخل عليهم من لون؛ لأنهم لما صاهروا الحبشة دخل عليهم من لون الحبشة شيء فتغير لونهم، والله أعلم، المقصود هنا أن بني الأصفر هم الروم، وأقوى القوى في ذلك العصر تواجه العرب الروم وفارس، مملكتان، مزقهم الله -عز وجل- في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

الروم وفارس كانتا هما القوتين في ذلك الوقت، فإذا كان ملك بني الأصفر يخاف النبي -صلى الله عليه وسلم- فمعنى ذلك أن شأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد عظم وأن أمره قد قوي واشتد. وكان ابن الناظور أو ابن الناظور بالطاء أو بالطاء، يقال بهذا ويقال بهذا، والناظور أو الناظور هو حارس البستان.

قال: وكان ابن الناظور، أي ابن حارس البستان، هذا الكلام: قوله: وكان... هذا كلام الزهري، انتهى كلام أبي سفيان، فهذا كلام الزهري ولقاء الزهري لابن الناظور كان في عهد عبد الملك بن مروان، لقيه في بلاد الشام فحدثه ابن الناظور عن قصة أبي سفيان لما دخل على هرقل، الأول مسندة، أبو سفيان حدث بها ورواها الزهري مسندة كما مر بالإسناد، لكن الآن الزهري ينقل خبراً أو ينقل هذه الحادثة عن غير أبي سفيان، ينقلها عن ابن الناظور، أحد النصارى، قال: وكان ابن الناظور صاحب إيليا وهرقل، أي صاحب إيليا وصاحب هرقل، كان ابن الناظور صاحب إيليا وهرقل سُقْفًا، والسُقْفُ هو الرئيس في دين النصارى، ثم ذكر من شأنه ما ذكر، وذكر في ذلك البطارقة، البطارقة هم خواص الملك وقواده وأهل الرأي والمشورة عنده، يعني أنهم بطانته وعصبته، هؤلاء تطلق عليهم بطارقة.

ثم ذكر ما كان من هرقل في أمر تعاطي الكهانة، الحَزَاء هو الذي يتعاطى الكهانة، يتعاطى الكهانة والتنجيم، لأن التنجيم نوع من أنواع الكهانة، فذكر هذه القصة التي سمعناها، وهي ظاهرة.

وذكر البخاري لها ليس لأنها مسندة يعني لأنها مرفوعة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- أو حديث، هذه من باب التبع لا من باب الأصل، الأصل هو حديث أبي سفيان.

قد يقول قائل: ما علاقته؟ ليس مسندا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- نقول: نعم، لكنه يتعلق بأوصاف النبي -صلى الله عليه وسلم-، السنة إما أن تكون قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفة خلقية أو خلقية، هذا وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذه الأوصاف.

وقوله في الحديث: هل لكم في الفلاح والرشد ويجوز أيضاً والرشد، يعني يجوز نطقها بالرشد والرشد.

طيب، قال بعد ذلك: رواه صالح بن كيسان ويونس ومعمّر عن الزهري.

صالح بن كيسان هو الغفاري المدني شيخ مالك، وأيضاً روى هو عن مالك من رواية الأكاابر عن الأصاغر؛ لأن صالح بن كيسان أكبر من مالك وهو شيخ مالك وقد أكثر عنه في الموطأ، ومع ذلك صالح بن كيسان على جلالته نزل فروى عن تلميذه، وهذه تسمى عند العلماء رواية الأكاابر عن الأصاغر، وهذا يعتبر من مناقب صالح بن كيسان؛ لأن الرواية عن الأصاغر عمّن هو أصغر منك فتستفيد منه علماً هذا عند العلماء من المناقب والمحامد وليس من المثالب كما يتصور بعض الناس؛ لأن العلم يؤخذ من الكبير والصغير، والنبي -صلى الله عليه وسلم- تلقى خبر الجساسة من تميم الداري، والنبي -صلى الله عليه وسلم- أجلّ قدراً وأعظم شأنًا.

والعباس بن عبد المطلب روى عن ابنه عبد الله بن العباس، وعائشة روت عن أبي هريرة وهي
أجلّ منه.

قال: رواه صالح بن كيسان ويونس ومعمّر عن الزهري، رواية صالح هذه خرجها البخاري
ومسلم، ورواية يونس خرجها البخاري، ورواية معمّر خرجها البخاري ومسلم، الحديث قلنا متفق
عليه.

قوله: رواه صالح ابن كيسان ويونس ومعمّر عن الزهري هذا مثال لما ذكرناه من أن المؤلف
أحيانا يذكر المدار، وهو الزهري، قال: رواه فلان وفلان عن الزهري، ومعنى ذلك أن إسناد الحديث
الذي عندنا فيه شعيب عن الزهري، إذن فهو لاء تابعوا شعيباً.

نختم بمناسبة حديث هرقل، هذا الحديث الطويل ما مناسبتة؟ لأنه كان في السنة السادسة من
الهجرة ليس في ابتداء الوحي... على القول الذي ذكرناه سالفاً من أن بعض أهل العلم يقول: إن
البخاري يذكر ما يتعلق بالترجمة وما يتعلق بمتعلقات هذه الترجمة فالأمر واضح وظاهر؛ لأن هذا
الحديث يتحدث عن نبوة النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي متعلقة بالوحي.

وقد استكشف هرقل من أبي سفيان بهذه الأسئلة موافقة النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن هرقل
استفاد من هذه الأسئلة صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- وهذه الصفة لما ضمّها إلى صفات الأنبياء
وجد أنها صفة من يوحى إليه، فهو متعلق بصفة من يوحى إليه.

وأيضاً فيه بيان كيفية حالة الناس مع النبي -صلى الله عليه وسلم- حين أوحى إليه، ولا سيما في
ابتداء الوحي؛ لأنه سأله عن النبي -صلى الله عليه وسلم- هل يتبعه ضعفاء الناس؟ هل؟ هل؟ هذه

الأستلة التي طرحها عن النبي -صلى الله عليه وسلم- هذه طبعاً كانت في البداية، كان الذين يتبعونه الضعفاء، وهكذا سنة الأنبياء كان يتبعهم الضعفاء، ﴿أَنْزَمِنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾.

ثم أيضاً من المناسبة أن الآية التي أرسل بها النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى هرقل ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ توافق ما صدر به المؤلف الباب وهو ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ فبان بهذا أنه أوحى إلى الأنبياء كلهم ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ وهو معنى قوله تعالى ﴿سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾.

إذن فهذا من مناسبة ذكر المؤلف -رحمه الله- لهذا الحديث في هذا الباب، وبهذا ينتهي (بدء الوحي) وغدا إن شاء الله أو بعد غد نشرع في كتاب الموضوع بإذن الله تعالى.

في النهاية هذا باب ابتداء الوحي، والوحي هو شرعة الله -عز وجل- لرسوله -صلى الله عليه وسلم- هذا الوحي ينبغي بل يجب الحرص على حفظه وتعلمه وتعليمه والعمل به والدعوة إليه وتعظيمه.

والثاني: وقفنا على ما كان يعانيه النبي -صلى الله عليه وسلم- من شدة في هذا التنزيل، وإذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعاني شدة فإن الإنسان قد يعاني شدة سواء في تعلمه أو في تعليمه أو في العمل به، عليه أن يأتي بما أمر الله به نبيه -صلى الله عليه وسلم- ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾.

وأيضا عليه أن يأخذ هذا الدين الثقيل بقوة، الله يقول ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

وهذه الشدة التي سمعتموها في الأحاديث التي كان يتلقى بها النبي -صلى الله عليه وسلم-

الوحي.

فلا ينبغي أن تجعل الآيات أو الأحاديث محلاً للمزاح أو الضحك أو عدم المبالاة؛ فإن الأمر خطير، من العلماء من يكفر باستعمال الآية في غير موضعها، يعني لو أن إنساناً وهو يمشي زلت قدمه في مكان فتلا ﴿فَتَزَلْ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ كَفَرَ، الآية ما نزلت هكذا، الآية لا بد من تعظيمها ولا بد من إجلالها؛ لأن القرآن كلام الله، فهو صفته -سبحانه وتعالى-، الذي لا يعظم القرآن ولا يعظم السنة هذا لم يعظم الله ولم يعظم رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

والله -عز وجل- أمرنا بتعظيم الله وتعظيم رسوله وتوقيره وإجلاله، فينبغي أن هذه الآيات تستعمل في مواضعها والأحاديث وأن تؤخذ بقوة، ما تستخدم في مكان المزح والهزل، مثلما يظهر الآن ويصدر برامج وغيرها يستعملون الأحكام الشرعية والآيات والأحاديث في الضحك واللهو، هؤلاء ممن اتخذوا دينهم لهوا ولعباً، وليس هذا من الدعوة إلى الله في شيء، هذا من الضلال، الدعوة يُقتدى فيها بمحمد -صلى الله عليه وسلم- ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾.

النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يمازح أصحابه أحياناً لكن ما يمازحهم بالآيات ولا بالأحاديث ولا يستهتر بالأحاديث ولا بشرائع الله ولا بحدوده، فالذي يأخذ أو يستعمل هذه الآيات في المزاح وغيره، أو يريد أن يعلم الناس الدين والتعاليم الشرعية عن طريق المزاح والنكات وما يظهر في

البرامج هذا ضلال؛ لأن الذي نزل ثقيل، لا بد أن يحمله الإنسان بقوة ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾.

قال تعالى في سورة الأعراف ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ
فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ أمره أن يأخذها بقوة، لا بهزال.

أردت التنبيه على هذا لأن هذه مسائل واقعة تقع بين الشباب أحيانا وهم لا يشعرون بهذا، أو
الذين يتابعون أو بعض الناس يتابعون مثل هذه البرامج وهذه لا يجوز متابعتها، هذا من المنكر الذي
يجب إنكاره وهجره، قال الله تعالى ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا
وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَتَّعِدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[سؤال عن الخرائط الذهنية وتصوير الآيات بالرسم لتسهيل الحفظ على الطلاب، يعني يأتي مثلا

لآية الحج في رسم الكعبة مثلا].

أولاً: بالنسبة للمغيبات لا يجوز، مثل الآن يضعون لهم أنهارا وأشجارا، هذا لا يجوز، هذا حرام،

هذا من أمر الغيب، هذا لا يجوز نهائيا...

هل الجنة شكلها هكذا؟ هي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر،
والأسماء كما قال ابن عباس إنما هي الأسماء فقط، قوله تعالى ﴿وَأَتُوا بِهِ مُشَابِهًا﴾.

هذا ما يحل لأحد أن يصنعه، هذا من الفرية.

أما الثاني -التعليم- والله أنا لا أعرف، تحتاج إلى نظر، ما أقدر أن أقول لك يجوز أو لا يجوز، الله أعلم؛ لأنها مسألة حادثة تحتاج إلى بحث ونظر.

على كلِّ أنا أعطيك نقطة مهمة وإن كانت خارجة عن الموضوع، بلينا بالدورات التدريبية، بلينا بلوى، فيها يسير نافع وفيها كثير غث ليس بنافع بل ضار، لما جاءت البرمجة العصبية -وتعرفون خطورتها- ثمة أناس قيل لهم: تعلّموا البرمجة العصبية تحفظوا القرآن، طبعاً هذا ليس بصحيح، وتقرأ الكتاب في نصف ساعة وتهضمه وتعرفه وتحفظه، هذا كله كذب، ورأيتموه، أنا أقول: هذا الذي يدرّب الناس عليها لماذا هو لا يحفظ القرآن؟ نعطيه مهلة، أليس هو يدرّبنا أن نحفظ القرآن في ستة أشهر، بدل هذه الدورات، كم تُكلف في الدورات في ستة أشهر؟ خمسمائة ألف؟ نريد أن نعطيه خمسمائة ألف ويجلس في بيته يحفظ القرآن في ستة أشهر بطريقته التي يقول، ونختبره.

هذا كذب يا إخوان، الناس اليوم انغمست في الدورات، تأتي للواحد يأخذ دورة مهارات الاتصال، تأتي تقول له: يا أخي هل قرأت رياض الصالحين؟ سنة نبيك -صلى الله عليه وسلم- فيها مهارات الاتصال، التبسم، والإعانة، وغيرها مما هو معروف، هذه مهارات الاتصال، وصلة الأرحام وصلة الوالدين وحق الجار والعفو والصفح، هذه ماذا تسمى؟

هذه مهارات الاتصال الصحيحة الموثوق بها والمستيقن بها، ليس فيها أدنى شك ولا ريبية، ثم تجد الناس للأسف يتبعون مهارات الاتصال، وأحيانا فيها كذب وخداع إلى غيرها من الأشياء، فيضيعون الدين والدنيا، فأنا والله يا إخوان أقول بالنسبة لبلاتنا هو من الدورات التدريبية، لكن ليس كل الدورات التدريبية، نقول: ثمة دورات نافعة وواضحة، دورات معروفة وواضحة يُستفاد منها، في التقنية في الصناعة في التعلم، لكن ثمة أشياء ليست بصواب ولا صحيحة، ولا ينبغي للإنسان أن يستهلك نفسه في الدورات، يا أخي بدل أن تشغل نفسك في هذه الدورات اقرأ كتاب الله، اقرأ سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- واجعل للدورات النافعة مما ينفعك في دينك ودنياك وقتا.

شيء آخر، هو أنه يا إخوة ما جاء من المسائل الحادثة أو النوازل المتعلقة بالكتاب والسنة ينبغي التوقف فيها حتى تُعلم حقيقتها وتُصدر فيها فتوى شرعية صحيحة بسلامتها من المحاذير، لا ينبغي الولوج فيها؛ لأنك يمكن أحيانا أن تلج في منكر عظيم، لكن في المقابل أيضا لا ينبغي التسرع بالتحريم قبل الدراسة والمعرفة المتأنية، لكن أقول: ينبغي التوقف؛ لأن هذا كلام الله وشرع الله وهذه سنة نبينا -صلى الله عليه وسلم- فلا ينبغي أن تُمتهن أو تُجعل مجالا للتجارب أو أن الناس يأخذون كل ما جاء دون سؤال أهل العلم عن حكمها الشرعي.

وأیضا في المقابل ما ينبغي للإنسان الهجوم عليها بالتحريم والتضليل إلا إذا كانت محرمة بفتوى شرعية، وهذه الخرائط أنا أقرأ هكذا لكن ما أعرفها حقيقة، ليتك تكتب لجهة الإفتاء، دار الإفتاء، توضح الصورة وتكتب، أما بالنسبة للأهبار وغيرها فهذه صدرت فيها فتاوى من قديم، هذه محرمة.

[قصة ابني آدم، يرسم شخصين أحدهما يقتل الآخر، فيحول القرآن إلى لوحة فنية فيُقرَّب

[المعنى]

-يا أخي القتل معروف، بعض الأشياء لا تُعرّف، شخص قتل آخر، وماذا بعد؟

هل يمكننا أن نعرّف الماء؟

الآن نعرفه كلنا، العربي والعجمي والصغير والكبير.

العلم الآن إذا أردنا أن نعرفه سنختلف في تعريف العلم ما هو؟ ثم يؤول الأمر إلى الجهالة، الناس

الآن في الدنيا كلها تقول: العلم، كلنا نعرف العلم، ما هو العلم؟

كلنا نعرف العلم.

فالشاهد أنه -جزاك الله خيرا- لعلك تكتب إن شاء الله لدار الإفتاء لعلهم يصدرون فتوى بإذن

الله.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.